Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES

GIVEN BY

THE PUBLISHER

مجموعة قصص ومشاهدات للأطفال

٢

ذيل الأرنب

ملتزم الطبع والنشر
دار المعارف بمصر

ذيل الأرنب

ذيل الأرنب

تأليف

روبرت لوسون

ترجمة

عبد الفتاح المنياوى ومحمد على الهمشرى

ملتزم الطبع والنشر

دار المعارف بمصر

893.785
L44

هذه الترجمة مرخص بها وقد قامت
مؤسسة فرانكلين للطبـــاعة والنشر
بشراء حق الترجمة من صاحب هذا الحق

This is a translation of Robbut:
A tale of tails. Published by the Viking
Press. Copyright 1948, by Robert Lawson

نشر بالاشتراك مع
مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر

Publisher's Gift
NOV 3 1955

الإهداء

إلى أصدقائنا الصغار

الذين يقرأون هذه القصة

ويعلمون أن

"القناعة كنز لا يفنى"

المحتـــويات

صفحة

اَلْأَرْنَبُ اَلْحَزِينُ ١١

اَلْأَرْنَبُ اَلسَّعِيدُ ٢٠

اَلْأَرْنَبُ تَعْتَرِضُهُ اَلْمَصَاعِبُ ٢٩

زَهْوٌ وَفَخْرٌ ٣٨

فَضِيحَةٌ وَعَارٌ ٤٧

خُيَلَاءُ ٥٩

مُصِيبَةٌ وَمِحْنَةٌ ٦٩

خُضُوعٌ وَوَدَاعَةٌ ٨١

ذيل الأرنب

الأَرْنَبُ الْحَزِينُ

كَانَ لُؤْلُؤُ الْأَرْنَبُ الصَّغِيرُ يَحْيَا حَيَاةً سَعِيدَةً ، وَلَكِنَّهُ شَعَرَ أَخِيراً أَنَّ ذَيْلَهُ الْقَصِيرَ يُضَايِقُهُ ، فَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْهُ .

وَكَانَ لُؤْلُؤٌ يَمُدُّ رَقَبَتَهُ ، وَيَدُورُ بِرَأْسِهِ يَمِيناً وَشِمَالًا ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَرَى ذَيْلَهُ إِلَّا بِصُعُوبَةٍ كَبِيرَةٍ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ طَوِيلًا مِثْلَ بَاقِي الذُّيُولِ .

جَلَسَ لُؤْلُؤٌ حَزِيناً يُحَدِّثُ نَفْسَهُ ويَقُولُ : « إِنَّهُ لَا يَزِيدُ عَلَى بِضْعِ شُعَيْرَاتٍ صَغِيرَةٍ ، فَمَا فَائِدَتُهُ وَمَاذا أَفْعَلُ بِهِ ؟ . . . لَا شَيْءَ بِالْمَرَّةِ » .

وأَخَذَ يُفَكِّرُ فِي ذَيْلِ الْقِطِّ ، وكَيْفَ يَضْرِبُ بِهِ يَميناً ويَساراً حِينَمَا يَغْضَبُ ، وكَيْفَ يَرْفَعُهُ فِي زَهْوٍ وإِعْجَابٍ عِنْدَمَا يَفْرَحُ . . .

ثُمَّ أَخَذَ يُفَكِّرُ فِي ذَيْلِ الْبَقَرَةِ وكَيْفَ تَطْرُدُ بِهِ الذُّبَابَ والْحَشَرَاتِ عَنْ جِسْمِهَا . . . وفَكَّرَ فِي ذَيْلِ السِّنْجَابِ وشَعْرِهِ الْكَثِيفِ ، وكَيْفَ يَسْتَخْدِمُهُ مِظَلَّةً إِذَا نَزَلَ الْمَطَرُ أَوِ الْجَلِيدُ ؛ وفَكَّرَ كَذَلِكَ فِي ذَيْلِ الْبُوسُومِ[1] .

إِنَّهُ لَيْسَ جَمِيلًا ، ولَكِنَّهُ عَظِيمُ الْفَائِدَةِ لِأَنَّ الْبُوسُومَ يَلُفُّهُ حَوْلَ فَرْعِ شَجَرَةٍ ويُبْقِي جِسْمَهُ مُعَلَّقاً ، وتَأْتِي صِغَارُ هَذَا الْحَيَوَانِ ، فَتَرْكَبُ عَلَى ظَهْرِ أُمِّهَا ، وتَلُفُّ ذُيُولَهَا الصَّغِيرَةَ فِي ذَيْلِهَا الْقَوِيِّ الطَّوِيلِ ، وتَتَأَرْجَحُ كَمَا تَشَاءُ .

ونَظَرَ الْأَرْنَبُ بِحَسْرَةٍ إِلَى ذَيْلِهِ ثُمَّ قَالَ : « إِنَّهُ لَا يَزِيدُ عَلَى خُصْلَةٍ صَغِيرَةٍ مِنَ الْقُطْنِ الْقَدِيمِ لَا فَائِدَةَ فِيهَا . . . »

ثُمَّ تَذَكَّرَ أَنَّ هُنَاكَ ذُيُولًا أُخْرَى جَمِيلَةً تَجْذِبُ الْأَنْظَارَ فَذَيْلُ الدِّيكِ رَشِيقٌ مُلَوَّنٌ ، وذَيْلُ الظَّرِبَانِ[2] لَوْنُهُ عَجِيبٌ ؛ فَهُوَ أَحْمَرُ يَمِيلُ إِلَى اللَّوْنِ الْأَزْرَقِ ، وبِهِ جُزْءٌ أَسْوَدُ لَامِعٌ عَلَيْهِ شَرِيطٌ أَبْيَضُ . . .

---

(١) البوسوم حيوان يشبه « الكسلان » يعيش فوق الأشجار موطنه المناطق الباردة فى أمريكا الشمالية وغيرها

(٢) الظربان طائر من طيور أمريكا الشماليه .

وَلَمَّا تَذَكَّرَ لُؤْلُؤٌ ذَيْلَ ٱلثَّعْلَبِ ٱلْأَحْمَرِ شَعَرَ حَقِيقَةً بِٱلْأَسَفِ وَٱلْحُزْنِ ، لِأَنَّهُ ذَيْلٌ جَمِيلٌ حَقًّا ، فَهُوَ طَوِيلٌ ، وَشَعْرُهُ غَزِيرٌ ، وَأَلْوَانُهُ بَرَّاقَةٌ ، وَهُوَ نَافِعٌ مُفِيدٌ ؛ لِأَنَّ ٱلثَّعْلَبَ يُغَطِّي بِهِ رَأْسَهُ وَأَنْفَهُ فِي لَيَالِي ٱلشِّتَاءِ ٱلْبَارِدَةِ .

وَحَكَّ لُؤْلُؤٌ أُذُنَهُ غَاضِبًا ، ثُمَّ مَشَى حَزِينًا بَائِسًا ، فِي طَرِيقٍ بِأَسْفَلِ ٱلتَّلِّ عَلَى جَانِبَيْهِ غَابَاتُ ٱلصَّنَوْبَرِ . وَكَانَتْ أَرْضُ هَذَا ٱلطَّرِيقِ تُغَطِّيهَا ٱلْأَعْشَابُ وَٱلشُّجَيْرَاتُ ، فَخَافَ لُؤْلُؤٌ أَنْ يَتْرُكَ ٱلطَّرِيقَ وَيَخْتَرِقَ هَذِهِ ٱلْأَحْرَاشَ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ هُنَاكَ مِصْيَدَةً قَرِيبَةً مِنْ هَذَا ٱلْمَكَانِ .

وَبَيْنَمَا كَانَ لُؤْلُؤٌ يَسِيرُ بِحَذَرٍ بَيْنَ ٱلْأَعْشَابِ وَٱلْأَدْغَالِ ، سَمِعَ فَجْأَةً صَلْصَلَةَ جِسْمٍ صُلْبٍ وَقَعْقَعَةَ أَسْلَاكٍ ، فَعَرَفَ أَنَّ صَيْدًا قَدْ وَقَعَ فِي ٱلشَّرَكِ ،

وقالَ : «لا بُدَّ أنْ يَكونَ هذا الحَيوانُ غريباً عَنْ هذا المكانِ، فَلأذْهَبْ لأرى ما الخَبَرُ» ...

وأخذَ يَسيرُ بحَذَرٍ وهُدوءٍ تُجاهَ الصَّوْتِ الذي سَمِعَهُ . إنَّ شَيْئاً قَدْ وقَعَ في الفخِّ ، ولكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ حَيَواناً ، بَلْ هُوَ قَزَمٌ لا يَزيدُ طُولُهُ عَنْ أرْبَعٍ وعِشْرينَ بُوصَةً ، فَهُوَ طُولُ لُؤْلُؤٍ مَرَّتَيْنِ عِنْدَ ما يَقِفُ عَلى رِجْلَيْهِ الخَلْفِيَّتَيْنِ .

أمَّا المِصْيَدَةُ فكانَتْ تُشْبِهُ القَفَصَ الكَبيرَ مِنَ الصُّلْبِ والأسْلاكِ ، تَصيدُ الحَيَوانَ حَيّاً دُونَ أنْ تُؤْذِيَهُ ، وهِيَ لِفَتًى يَعيشُ فَوْقَ التَّلِّ ، ولكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَأْتي لِزِيارَتِها إلّا نادِراً ، لأنَّها لَمْ تُوقِعْ في شَرَكِها شَيْئاً فَيَئِسَ مِنْها ...

ولَمْ يَعْلَمْ أحَدٌ كَمْ مَضى مِنَ الزَّمَنِ عَلى هذا الرَّجُلِ الصَّغيرِ وهُوَ سَجينٌ هُناكَ ... رُبَّما مَضى عَلَيْهِ وقْتٌ طَويلٌ ، لأنَّهُ كانَ نَحيلاً هَزيلاً أشْعَثَ الرَّأْسِ ، قَذِرَ الثِّيابِ ، يَبْدُو عَلَيْهِ التَّعَبُ والقَلَقُ والغَضَبُ .

لَقَدْ كانَ الرَّجُلُ الصَّغيرُ قَزَماً عَجُوزاً ، أصْلَعَ الرَّأْسِ ، لَهُ لِحْيَةٌ صَغيرَةٌ مِنَ الشَّعْرِ الرَّمادِيِّ ، وكانَ يَرْتَدي مِعْطَفاً لَوْنُهُ أزْرَقُ مُشْرَبٌ بِخُضْرَةٍ ، لَهُ أزْرارٌ مِنْ نُحاسٍ أصْفَرَ ، وكانَ يَلْبَسُ كَذَلِكَ سِرْوالاً قَصيراً يَصِلُ إلى رُكْبَتَيْهِ ، وحِذاءً مُرَبَّعاً عِنْدَ أصابِعِ قَدَمَيْهِ ، بِهِ حِلْيَةٌ مِنَ الفِضَّةِ .

وأخَذَ لُؤْلُؤٌ يَقْفِزُ بِحَذَرٍ حَتّى وَصَلَ إلى القَفَصِ ، ثُمَّ تَحَدَّثَ إلى القَزَمِ

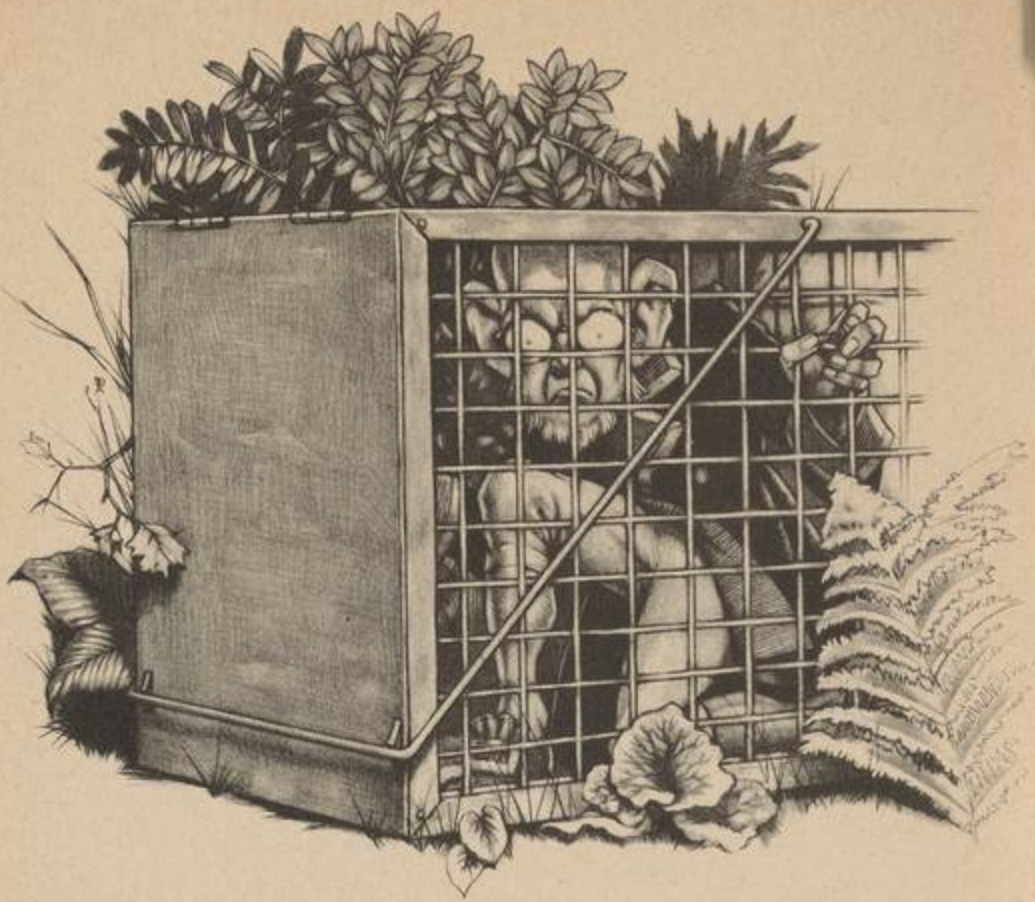

ٱلْعَجُوزِ بِرِقَّةٍ وَلُطْفٍ فَسَأَلَهُ : « هَلْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُقَدِّمَ لَكَ يَدَ ٱلْمَعُونَةِ وَٱلْمُسَاعَدَةِ ؟ »

فَرَدَّ عَلَيْهِ ٱلرَّجُلُ ٱلْعَجُوزُ الصَّغِيرُ قَائِلًا : أَظُنُّ أَنَّكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُخْرِجَنِي مِنْ هَـذِهِ ٱلْوَرْطَةِ ، إِنْ كَانَ لَدَيْكَ قَلِيلٌ مِنَ الْحِيلَةِ وَٱلتَّدْبِيرِ ... لَقَدْ كُنْتُ أَعْرِفُ جَدَّكَ ، وَكَانَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ ٱلذَّكَاءِ لَا بَأْسَ بِهِ ، وَكُنْتُ أَعْرِفُ

أباكَ ، وَلَـكِنَّهُ كانَ أَقَلَّ إِدْرَاكاً وَذَكاءً مِنْ جَدِّكِ وَأَنَا أَخْشَى أَنْ تَكُونَ أَنْتَ أَقَلَّ أَفْرَادِ عَائِلَتِكَ ذَكاءً وَحِيلَةً ...

وَبَذَلَ لُؤْلُؤٌ جُهْدًا كَبِيرًا لِيَفْتَحَ ٱلْقَفَصَ ، فَأَخَذَ يَرْفَسُهُ بِرِجْلَيْهِ تَارَةً وَبِرَأْسِهِ تَارَةً أُخْرَى ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَنْجَحْ .

فَقَالَ ٱلرَّجُلُ ٱلْعَجُوزُ : « تَمَهَّلْ أَيُّهَا ٱلصَّبِيُّ ... حَاوِلْ أَنْ تُفَكِّرَ قَلِيلًا بِرَأْسِكَ هَذَا — بَدَلَ أَنْ تَسْتَعْمِلَهُ مِطْرَقَةً . هَلْ تَرَى ذَلِكَ ٱلسِّلْكَ ٱلصُّلْبَ ٱلثَّقِيلَ ؟ لَا أُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَرْفَعَ هَـذَا ٱلسِّلْكَ إِلَى أَعْلَى ٱلْقَفَصِ ، وَحِينَئِذٍ يَنْفَتِحُ ، فَأَسْتَطِيعُ أَنْ أَخْرُجَ » .

وَبَدَأَ لُؤْلُؤٌ عَمَلَهُ مِنْ جَدِيدٍ ، وَرَكَّزَ جُهْدَهُ عَلَى ٱلسِّلْكِ ٱلصُّلْبِ ، فَأَخَذَ يَرْفَعُهُ قَلِيلًا قَلِيلًا بِيَدَيْهِ ، ثُمَّ وَضَعَ أَنْفَهُ أَسْفَلَهُ ، وَبِذَلِكَ نَجَحَ فِي رَفْعِهِ أَكْثَرَ مِنْ قَبْلُ ، وَلَـكِنَّ ٱلسِّلْكَ ٱنْزَلَقَ وَرَجَعَ كَمَا كَانَ .

وَحِينَئِذٍ قَالَ ٱلرَّجُلُ ٱلْعَجُوزُ : « هَاتِ غُصْنَ شَجَرَةٍ » . فَنَاوَلَهُ ٱلْأَرْنَبُ غُصْنًا صَغِيرًا ، فَصَارَ الرَّجُلُ يُسَاعِدُهُ فِي رَفْعِ ٱلسِّلْكِ بِهَذَا ٱلْغُصْنِ ...

وَنَجَحَ ٱلِاثْنَانِ فِي رَفْعِ ٱلْمِزْلَاجِ ، وَكَادَ ٱلْقَفَصُ يَنْفَتِحُ ، لَوْلَا أَنَّ ٱلْغُصْنَ كَانَ ضَعِيفًا فَٱنْكَسَرَ ، وَسَقَطَ ٱلسِّلْكُ ٱلثَّقِيلُ مَرَّةً ثَانِيَةً ، وَلَـكِنَّهُ وَقَعَ فِي هَذِهِ ٱلْمَرَّةِ عَلَى رِجْلِ ٱلْأَرْنَبِ ، فَصَرَخَ مِنَ ٱلْأَلَمِ ، وَلَعَقَ أَظْلَافَهُ وَقَالَ : لَوْ كَانَ لِي ذَيْلٌ مِثْلُ ذَيْلِ ٱلْبُوسُومِ ، لَجَلَسْتُ عَلَى سَطْحِ ٱلْقَفَصِ ،

وَلَرَفَعْتُ هَذَا ٱلسِّلْكَ بِمُنْتَهَى ٱلسُّهُولَةِ » .

فَرَدَّ عَلَيْهِ ٱلرَّجُلُ ٱلعَجُوزُ وَقَالَ : « وَلَـكِنَّكَ مَعَ ٱلْأَسَفِ — لَا تَمْلِكُ مِثْلَ هَـذَا ٱلذَّيْلِ ... أَعْطِنِي غُصْنًا آخَرَ أَقْوَى مِنَ ٱلْغُصْنِ ٱلْأَوَّلِ ... وَلْنُحَاوِلْ مِنْ جَدِيدٍ » . وَأَحْضَرَ لُؤْلُؤٌ غُصْنًا آخَرَ أَقْوَى مِنَ ٱلْغُصْنِ ٱلْأَوَّلِ ، وَبَدَأَ يَعْمِلُ مِنْ جَدِيدٍ ، فَأَخَذَ يَرْفَعُ ٱلسِّلْكَ قَلِيلًا قَلِيلًا . وَحِينَمَا وَصَلَ ٱلسِّلْكُ فِي مُحَاذَاةِ سَطْحِ ٱلْقَفَصِ ، ٱسْتَدَارَ ٱلْأَرْنَبُ سَرِيعًا ، وَرَفَسَ رَفْسَةً قَوِيَّةً ... فَٱرْتَفَعَ ٱلسِّلْكُ بِشِدَّةٍ فَوْقَ ٱلْقَفَصِ وَٱنْفَتَحَ ٱلْبَابُ ... وَخَرَجَ ٱلرَّجُلُ ٱلْعَجُوزُ ٱلصَّغِيرُ مِنَ ٱلْمِصْيَدَةِ ، وَأَخَذَ يَنْفُضُ ٱلْغُبَارَ عَنْ

يَدَيْهِ ، وَقَالَ : « حَسَنٌ ، هَذَا جَزَائِى ! لَقَدْ كَانَتْ تَجْرِبَةً قَاسِيَةً مُضْحِكَةً ، وَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَىَّ أَنْ أَكُون حَذِراً بَعْدَ هَذَا الْعُمْرِ الطَّوِيلِ » .

وَهُنَا سَأَلَهُ الْأَرْنَبُ : « هَلْ مَضَى عَلَيْكَ زَمَنٌ طَوِيلٌ فِى الْفَخِّ يَا سَيِّدِى ؟ »

فَأَجَابَ الرَّجُلُ الصَّغِيرُ : يَوْمَانِ وَثَلَاثُ لَيَالٍ دُونَ طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ ،

أوْ سِيجارَةٍ . فَلْنُسْرِعْ ... إنَّنِى أَكادُ أَمُوتُ جُوعاً » .

وأَنْدَفَعَ ٱلرَّجُلُ ٱلْعَجُوزُ ٱلصَّغِيرُ خِلَالَ الْغابَاتِ وَٱلْأَشْجَارِ وَٱلْأَشْوَاكِ ، وَأَخَذَ يَتَسَلَّقُ ٱلتَّلَّ بِسُرْعَةٍ أَعْجَزَتْ لُولُوءاً عَنِ ٱللِّحَاقِ بِهِ . وَحِينَمَا وَصَلَ ٱلِاثْنَانِ إِلَى أَسْفَلِ شَجَرَةٍ كَبِيرَةٍ فِى أَقْصَى غَابَةِ ٱلصَّنَوْبَرِ ، أَمْسَكَ الرَّجُلُ بِقِطْعَةٍ مِنْ غُلَافِهَا وَشَدَّهَا . وَأَدْرَكَ لُولُوءُ أَنَّ هَذَا ٱلْغُلَافَ هُوَ بَابُ مَسْكَنِ ٱلرَّجُلِ ٱلْعَجُوزِ ... وَكَانَ هَـذَا الْبَابُ يُؤَدِّى إِلَى سُلَّمٍ . دَخَلَ ٱلرَّجُلُ ٱلْعَجُوزُ ، وَهَبَطَ ٱلدَّرَجَ بِسُرْعَةٍ وَهُوَ يُنَادِى صَدِيقَهُ ٱلْأَرْنَبَ ٱلصَّغِيرَ : « اِمْسَحْ رِجْلَيْكَ ... وَأَغْلِقِ ٱلْبَابَ خَلْفَكَ ... أَسْرِعْ فَإِنَّنِى أَكَادُ أَمُوتُ مِنَ ٱلْجُوعِ » .

الأَرْنَبُ السَّعِيدُ

نَفَضَ لُؤْلُؤٌ أَرْجُلَه بِعِنَايَةٍ ، ثُمَّ أَغْلَقَ الْبَابَ خَلْفَهُ ، وهَبَطَ الدَّرَجَ ، فوَجَدَ أَنَّ الرَّجُلَ الْعَجُوزَ قَدْ أَوْقَدَ النَّارَ ، وأَخْرَجَ عُلْبَةً مِنْ عُلَبِ « الْفَراوْلَةِ » الْمَحْفُوظَةِ وستَّ بَيْضَاتٍ وبَعْضَ شَرَائِحِ اللَّحْمِ ، كَمَا أَخْرَجَ الزُّبْدَةَ والْبَسْكَوِيتَ والسُّكَّرَ والْبُنَّ وغَيْرَهَا مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تُعَدُّ إِفْطَاراً شَهِيًّا — وأَخِيراً وجَدَ حُزْمَةً مِنَ الْجَزَرِ ، فَرَماهَا لِصَدِيقِهِ الْأَرْنَبِ

ٱلصَّغِيرِ وَهُوَ يَقُولُ : « هَذَا لِإفْطَارِكَ . . أَمَّا أَنَا فَلَا غِنَى لِي عَنْ أَكْلِ دَسِمٍ » ، ثُمَّ كَسَرَ خَمْسَ بَيْضَاتٍ فِي وِعَاءٍ بِهِ سَمْنٌ يَغْلِي عَلَى النَّارِ ، وَأَضَافَ إِلَيْهَا سِتَّ شَرَائِحَ مِنَ ٱللَّحْمِ .

وَأَخَذَ لُولُوْ يَقْرِضُ ٱلْجَزَرَ ، وَهُوَ يَنْظُرُ فِيمَا حَوْلَهُ . . . لَقَدْ كَانَ ٱلْمَكَانُ أَنِيقًا فَسِيحًا ؛ فِيهِ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ ٱلْكَرَاسِيِّ ٱلْمُرِيحَةِ ؛ وَفِيهِ فِرَاشٌ وَثِيرٌ ، وَمَنَاضِدُ وَمَكْتَبٌ ، وَعَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ ٱلْأَصْوِنَةِ وَٱلصَّنَادِيقِ وَٱلْأَرْفُفِ ٱلْمَمْلُوءَةِ بِٱلْكُتُبِ ، وَرَأَى أَوَانِيَ ٱلصِّينِيِّ وَٱلطَّعَامِ وَغَيْرَهَا مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ ٱلَّتِي تَسُرُّ ٱلنَّاظِرِينَ . . . أَمَّا ٱلْمِدْخَنَةُ فَكَانَتْ عِبَارَةً عَنْ سَاقِ تِلْكَ ٱلشَّجَرَةِ ٱلْكَبِيرَةِ ، وَكَانَتْ مُجَوَّفَةً مِنَ ٱلدَّاخِلِ . وَهَكَذَا لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَرَى ٱلدُّخَانَ مِنَ ٱلْخَارِجِ . وَأَمَّا ٱلنَّوَافِذُ ٱلصَّغِيرَةُ ذَاتُ ٱلسَّتَائِرِ ، فَكَانَتْ تَنْفَتِحُ خِلَالَ فَتَحَاتٍ مَخْبُوءَةٍ بِعِنَايَةٍ فِي جُذُورِ ٱلْأَشْجَارِ وَجُذُوعِهَا . . . لَقَدْ مَرَّ لُولُوْ بِهَذِهِ ٱلشَّجَرَةِ كَثِيرًا ، وَلَكِنْ لَمْ يَدُرْ بِخَلَدِهِ يَوْمًا أَنَّ أَحَدًا يَسْكُنُ تَحْتَهَا . . .

وَٱلْتَهَمَ ٱلرَّجُلُ ٱلْعَجُوزُ ٱلْبَيْضَ وَٱللَّحْمَ وَٱلْبَسْكَوِيتَ وَٱلْفَاكِهَةَ ٱلْمَحْفُوظَةَ ، ثُمَّ أَخَذَ يَتَمَطَّى ، وَفَكَّ حِزَامَهُ ، وَغَرِقَ فِي أَحَدِ ٱلْكَرَاسِيِّ ٱلْمُرِيحَةِ ، وَبَدَأَ يَشْرَبُ فِنْجَالًا ثَالِثًا مِنَ ٱلْقَهْوَةِ وَيُدَخِّنُ . ثُمَّ نَظَرَ إِلَى لُولُوْ نَظْرَةً فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ ٱلْعَطْفِ وَٱلْحَنَانِ وَقَالَ لَهُ : « حَقًّا يَا صَدِيقِي ٱلصَّغِيرَ ، لَقَدْ بَذَلْتَ ٱلْيَوْمَ جُهْدًا كَبِيرًا فِي ذَلِكَ ٱلْفَخِّ . . . جُهْدًا عَظِيمًا لَمْ أَكُنْ

أَنتظِرُهُ منْ أَرْنَبٍ . . . إِنَّنِي مُعْتَرِفٌ بِفَضْلِكَ ، وَعاجِزٌ عَنْ شُكْرِكَ . ويَسُرُّنِي أَنْ أَرُدَّ لَكَ هَذَا الْجَمِيلَ ، فَأَخْبِرْنِي ماذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ أَجْلِكَ ؟ » فَرَدَّ عَلَيْهِ لُؤْلُؤٌ قائِلاً : « إِنَّنِي لَا أَعْرِفُ تَمَامًا ما أُرِيدُ . . . ولَكِنِّي أَطْلُبُ مِنْكَ حُزْمَةً أُخْرَى مِنَ الْجَزَرِ » .

غَضِبَ الرَّجُلُ الصَّغِيرُ وقالَ : حُزْمَةَ جَزَرٍ !! هَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّنِي لَا أَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ؟ أَلَا أُساوِي فِي نَظَرِكَ إِلَّا حُزْمَةَ جَزَرٍ ؟ هَذا غَباءٌ لَا يَصْدُرُ حَتَّى مِنَ الْأَرانِبِ . وهَذِهِ إِهانَةٌ لَا أَقْبَلُها » . ثُمَّ رَمَى إِلَيْهِ حُزْمَةً أُخْرَى مِنَ الْجَزَرِ ، فَأَسْرَعَ لُؤْلُؤٌ يَعْتَذِرُ ويَقُولُ : « يا إِلٰهِي ! لَمْ يَتَبادَرْ هَذا الْمَعْنَى إِلَى ذِهْنِي ، وكُلُّ ما حَدَثَ أَنَّنِي لَمْ أُفَكِّرْ جَيِّدًا فِي الْأَمْرِ قَبْلَ الْكَلامِ » .

فَابْتَسَمَ الْعَجُوزُ ثانِيَةً وقالَ : « فَكِّرْ وحاوِلِ الِاخْتِيارَ مَرَّةً أُخْرَى . . . ما أَحَبُّ شَيْءٍ لَدَيْكَ فِي الْوُجُودِ ؟ » فَبَدَأَ لُؤْلُؤٌ يُفَكِّرُ — ويُفَكِّرُ — وهُوَ يَقْرِضُ حُزْمَةَ الْجَزَرِ . . . وفَجْأَةً تَذَكَّرَ ذَيْلَهُ الْقَصِيرَ ، فَتَرَدَّدَ قَلِيلًا ثُمَّ قالَ : « إِنَّنِي فِي أَشَدِّ الْحاجَةِ إِلَى ذَيْلٍ جَدِيدٍ غَيْرِ هَذا . . . ولَكِنَّكَ — بِطَبِيعَةِ الْحالِ — لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَمْنَحَنِي إِيَّاهُ ، ولَيْسَ لَكَ حِيلَةٌ فِيهِ » .

فَرَدَّ عَلَيْهِ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ : « ولِماذَا تَطْلُبُ ذَيْلًا آخَرَ ، مَعَ أَنَّ ذَيْلَكَ عادِيٌّ مِثْلُ ذُيُولِ الْأَرانِبِ كُلِّها » .

قَالَ ٱلْأَرْنَبُ مُنْدَفِعاً : « لَا ! . . إِنَّهُ خُصْلَةٌ صَغِيرَةٌ قَدِيمَةٌ مِنَ ٱلشَّعْرِ ، وَلَيْسَتْ لَهُ أَيَّةُ فَائِدَةٍ » . فَقَالَ ٱلْعَجُوزُ : « وَلَكِنَّكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَهُزَّهَا » .

قَالَ ٱلْأَرْنَبُ : « نَعَمْ — أَسْتَطِيعُ . . . وَلَكِنْ قَلِيلًا !! — وَإِذَا حَرَّكْتُهُ فَإِنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَى شَيْءٍ » .

وَبَدَأَ ٱلْأَرْنَبُ يَصِفُ ٱلْحَيَوَانَاتِ ٱلْأُخْرَى ، وَجَمَالَ ذُيُولِهَا وَفَوَائِدِهَا ، ثُمَّ قَالَ وَٱلْأَسَفُ يَمْلَأُ قَلْبَهُ : « لَيْسَ لِذَيْلِي هَذَا أَيَّةُ فَائِدَةٍ ، سِوَى أَنَّنِي أَجْلِسُ عَلَيْهِ . »

كَانَ ٱلرَّجُلُ ٱلْعَجُوزُ يَسْتَمِعُ بِٱهْتِمَامٍ لِحَدِيثِ ٱلْأَرْنَبِ . . . ثُمَّ نَفَثَ دُخَانَ غَلْيُونِهِ مِنْ فَمِهِ ، وَأَخَذَ يُفَكِّرُ قَلِيلًا فِي كَلَامِ ٱلْأَرْنَبِ وَأَخِيرًا

قالَ : « إنَّ لكَ بَعْضَ الحَقِّ فيما تقولُ . ولكنْ أخبِرْني . أيَّ ذَيْلٍ تُريدُ ؟ » .

وأخذَ لُؤْلُؤُ يُفكِّرُ — ويُفكِّرُ — حتَّى أتى على حُزْمَةِ الجَزَرِ ، وأخيرًا قالَ : « أظُنُّ أنَّ ذَيْلَ القِطِّ أحسَنُ مِنْ ذَيْلي » .

فسألَهُ العَجوزُ : « ذُيولُ القِطَطِ أنواعٌ كثيرةٌ ... فأيَّ نَوْعٍ تَختارُ ؟ »

فقالَ لُؤْلُؤُ : « أُريدُ ذَيْلَ قِطٍّ أسوَدَ طَرَفُهُ أبيَضُ — أوْ ذَيْلَ قِطٍّ مالِطِيٍّ » .

فقالَ العَجوزُ : « لَوْ كُنْتُ أنا الَّذي أختارُ لِنَفْسي ... لاخْتَرْتُ ذَيْلاً مُخَطَّطًا ... رَماديَّ اللَّوْنِ بِهِ خُطوطٌ سَوْداءُ وطَرَفٌ أسوَدُ غَزيرُ الشَّعْرِ . وعَلى أيَّةِ حالٍ ، إنَّهُ ذَيْلُكَ أنْتَ ، فاخْتَرْ أحَبَّ الأَلْوانِ إليْكَ . وأمامَكَ وقْتٌ لِلتَّفْكيرِ ، وأنْتَ تَغْسِلُ الأَطْباقَ ... وسَوْفَ أُحاوِلُ أنْ أجِدَ حَلاًّ لِهَذِهِ المُشْكِلَةِ » .

ثُمَّ جَمَعَ لُؤْلُؤُ كلَّ الأَطْباقِ والأَوانِي وأكْوابَ القَهْوَةِ ، وغَسَلَها بِعِنايَةٍ واهْتِمامٍ في الحَوْضِ الحَجَرِيِّ الصَّغيرِ ، وقَدْ تَطَلَّبَ هَذا العَمَلُ وقْتًا طَويلاً وجُهْدًا كبيرًا ، وكانَ في هَذا الوَقْتِ يُفكِّرُ باهْتِمامٍ في أنْواعِ الذُّيولِ وأَلْوانِها المُخْتَلِفَةِ .. وأخيرًا رَأى أنَّ الذَّيْلَ الرَّماديَّ المُخَطَّطَ أجْمَلُها جَميعًا .

أمَّا الرَّجُلُ العَجوزُ فقَدْ مَرَّ على أرْفُفٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وأنْزَلَ ما عَلَيْها مِنْ أوانٍ وزُجاجاتٍ وصَناديقَ ، وأخَذَ يَتَصَفَّحُ كُتُبًا وأوْراقًا قَديمَةً .. ثُمَّ أخَذَ يَصْحَنُ

ما يُصادِفهُ مِنْ مَوادَّ غَريبَةٍ فِي هاوُنٍ صَغيرٍ .. وأخيراً جَمعَ هَذِهِ ٱلْمَوادَّ فِي إبْريقٍ حَجَرِيٍّ وضَعَهُ فَوْقَ المَوْقِدِ لِيَسْخَنَ .. فَخَرَجَتْ مِنَ ٱلْإبْريقِ رَائِحَةٌ غَرِيبَةٌ ، ولَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ رَائِحَةً كَرِيهَةً .

وهُنَا قَالَ ٱلْعَجُوزُ ، وهُوَ يَغْسِلُ يَدَيْهِ ويَمْسَحُ نَظَّارَتَهُ : « والْآنَ ، كُلُّ شَيْءٍ عَلَى ما يُرَامُ ، وهَذَا ٱلْعَمَلُ ٱلَّذِى قُمْتُ بِهِ كَفِيلٌ بِتَحْقِيقِ رَغْبَةِ ٱلْأَرْنَبِ . لَقَدْ كَانَ جَدِّى يَقُومُ بِأَشْياءَ كَثِيرَةٍ مِنْ هَذَا ٱلنَّوْعِ . . أَمَّا أَنَا فَإِنَّنِى أَقَلُّ مِنْهُ مَهارَةً » .

وهُنَا كانَ لُؤْلُؤٌ قَدِ ٱنْتَهَى مِنْ عَمَلِهِ . وعَلَّقَ مِنْشَفَةَ ٱلْأَطْباقِ ، فَقالَ لَهُ ٱلْعَجُوزُ : « هيَّا أَيُّها ٱلصَّدِيقُ ! اِقْفِزْ هُنَا عَلَى ٱلْمِنْضَدَةِ ، واسْتَمِعْ إِلَىَّ جَيِّدًا

فَصَعِدَ لُؤْلُؤٌ فَوْقَ ٱلْمِنْضَدَةِ ، وأَصْغَى لِلرَّجُلِ ٱلْعَجُوزِ ٱلَّذِى قَالَ لَهُ : « وَٱلآنَ ، أَقْفِلْ عَيْنَيْكَ تَمَامًا ، وغَطِّهِمَا بِقَدَمَيْكَ ، ولَا تُحَاوِلْ أَنْ تَخْتَلِسَ ٱلنَّظَرَ . . . كُنْ هَادِئًا لَا تَتَحَرَّكْ » .

فَسَأَلَ ٱلْأَرْنَبُ صَدِيقَهُ ٱلْعَجُوزَ فِى خَوْفٍ وقَلَقٍ : « هَلْ تُؤْلِمُنِى ؟ »

فَأَجَابَهُ ٱلْعَجُوزُ : « لَنْ تَشْعُرَ بِأَلَمٍ عَلَى ٱلْإِطْلَاقِ . . . ولَكِنْ كُنْ هَادِئًا تَمَامًا حَتَّى لَا يَخْرُجَ ٱلذَّيْلُ مُلْتَوِيًا ، أَوْ فِى غَيْرِ مَوْضِعِهِ ٱلصَّحِيحِ » .

ومِنْ ثَمَّ أَغْلَقَ لُؤْلُؤٌ عَيْنَيْهِ جَيِّدًا ، ووضَعَ قَدَمَيْهِ عَلَيْهِما ، وظَلَّ سَاكِنًا هَادِئًا تَمَامًا ، بِرَغْمِ سُرْعَةِ نَبْضِهِ وثَوْرَةِ نَفْسِهِ ، وبَدَأَ يَشْعُرُ بِٱلرَّجُلِ ٱلْعَجُوزِ وهُوَ يَلْوِى ذَيْلَهُ ٱلْقَصِيرَ بِلُطْفٍ ، ويَشُدُّهُ ويَحُكُّهُ . ثُمَّ شَعَرَ أَنَّهُ يَضَعُ عَلَيْهِ شَيْئًا لَزِجًا دَافِئًا ، وشَمَّ رَائِحَةً غَرِيبَةً تَتَصَاعَدُ مِنَ ٱلْإِنَاءِ ٱلْحَجَرِىِّ فَوْقَ ٱلْمَوْقِدِ .

وفَجْأَةً رَبَّتَ ٱلْعَجُوزُ عَلَى ظَهْرِ ٱلْأَرْنَبِ وقَالَ لَهُ : « عَظِيمٌ ! عَظِيمٌ ! لَقَدْ تَمَّ كُلُّ شَىْءٍ . . . ٱنْظُرْ !! ٱنْظُرْ !! » أَنْزَلَ لُؤْلُؤٌ قَدَمَيْهِ ، وفَتَحَ عَيْنَيْهِ ، ومَدَّ رَقَبَتَهُ ، ثُمَّ أَدَارَ رَأْسَهُ ، فَكَادَ يَطِيرُ مِنَ ٱلْفَرَحِ حِينَمَا رَأَى ذَيْلًا فَخْمًا يَنْحَنِى طَرَفُهُ فَوْقَ ظَهْرِهِ . فَصَاحَ وهُوَ يَشْعُرُ بِٱلسَّعَادَةِ والْهَنَاءِ : « يَا إِلَهِى . . كَمْ هُوَ جَمِيلٌ هَذَا ٱلذَّيْلُ ! ! »

فَقَالَ ٱلرَّجُلُ ٱلْعَجُوزُ : « نَعَمْ ! إِنَّهُ جَمِيلٌ حَقًّا . . . ٱنْظُرْ إِلَيْهِ فِى ٱلْمِرْآةِ ! ! »

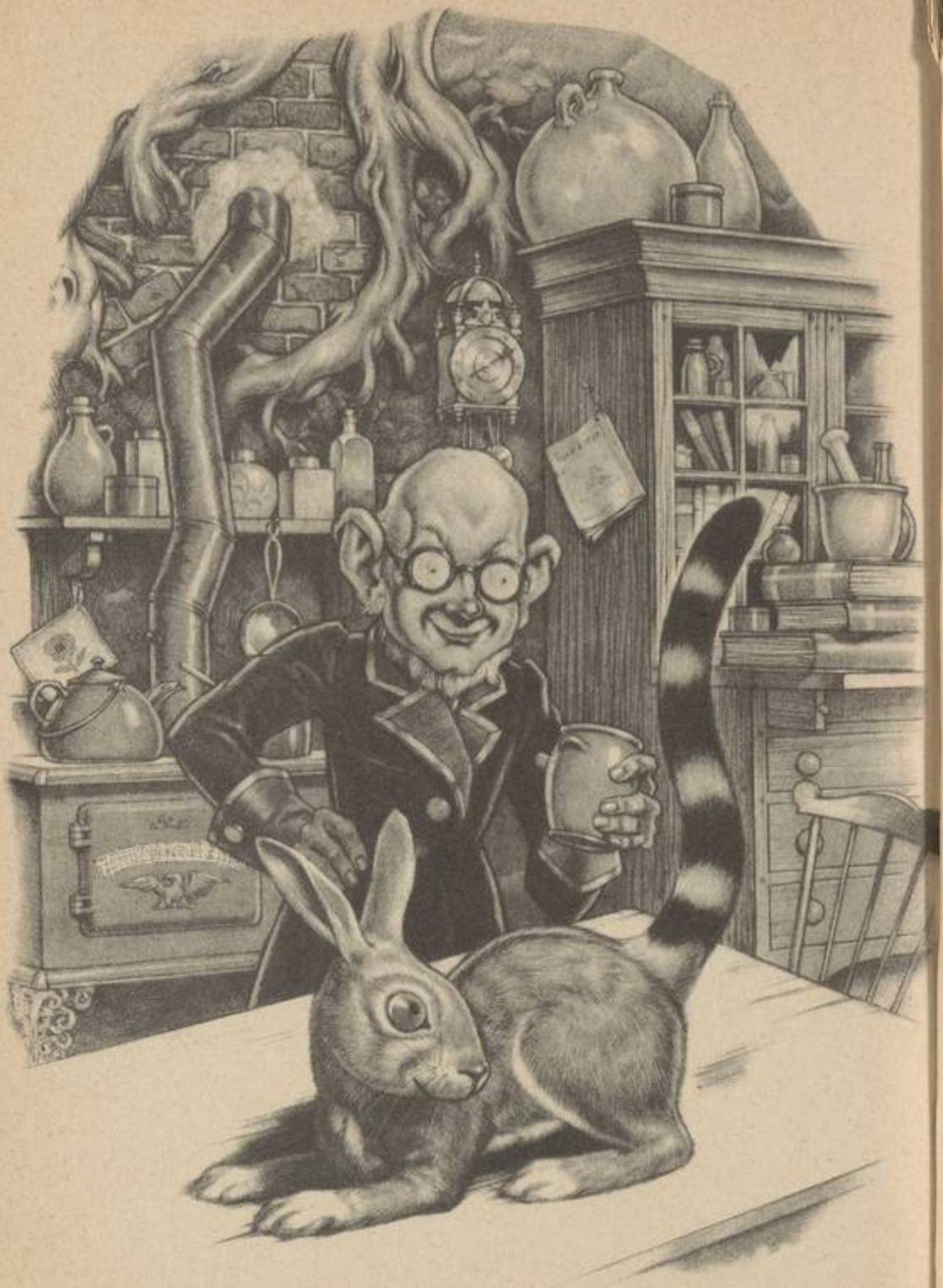

ووضعَ مِرْآةً قديمةً على الأرضِ ، وأسندَها على الحائطِ ، فأخذَ لؤلؤ ينظرُ إلى نفسِهِ وإلى ذيلِهِ الجديدِ مِنْ كلِّ زاويةٍ مُمكنةٍ . . . وراحَ يخطو أمامَ المرآةِ ، وذيلُهُ شامخٌ إلى أعلى يهتزُّ فرحاً وسُروراً ، ثمَّ لواهُ سريعاً كما لوْ كانَ غاضباً ، حتى لمسَ ضلوعَهُ ، وأثارَ سحابةً مِنَ الغبارِ مِنَ البساطِ الذى كانَ يسيرُ عليْهِ ، ثمَّ رقدَ على الأرضِ . . . وصارَ ذيلُهُ يتماوجُ بطيئاً فى دوائرَ جميلةٍ مُنتظمةٍ . ثمَّ حرَّكهُ حركةً سريعةً ، ولمسَ ذقنَهُ وداعبَهُ بلطفٍ . . . وأخذَ يؤدِّى الحركاتِ التى تقومُ بها القططُ ، كما قامَ بحركاتٍ لا تخطرُ إلَّا للأرانبِ . وأخيراً قالَ : « إنَّهُ أجملُ ذيلٍ فى العالمِ كلِّهِ . . . إنَّنى مَدينٌ لكَ بهذا الفضلِ ، ولا أستطيعُ التعبيرَ عنْ عظيمِ شكرى » .

فضحكَ الرَّجلُ العجوزُ وهوَ يقولُ : « إنَّهُ ذيلٌ جميلٌ حقاً . . . ولكنَّهُ يبدو غريباً . . . جرِّبْهُ ، ويُمكنكَ أنْ ترجعَهُ إلىَّ فى أىِّ وقتٍ فأعطيكَ غيرَهُ . . . »

فضحكَ لؤلؤ وقالَ : أظنُّ أنَّنى لنْ أفعلَ ذلكَ » .

كانَ لؤلؤ فى شوقٍ شديدٍ إلى أصدقائهِ وأقاربهِ ليُريهِمْ هذا الذَّيلَ الظَّريفَ الجميلَ ، فشكرَ الرَّجلَ العجوزَ ، واستأذنَ فى الخروجِ ، وانطلقَ يصعدُ السُّلَّمَ ، وخرجَ إلى الشَّمسِ والهواءِ ، ولكنَّهُ ما كادَ يخطو أوَّلَ خطوةٍ حتى صرخَ صرخةً عاليةً مِنَ الألمِ ، لأنَّهُ نسىَ أنَّ لهُ ذيلاً جديداً طويلاً حينَ أغلقَ البابَ بشدَّةٍ على طرفِهِ .

الأَرْنَبُ تَعْتَرِضُهُ الْمَصَاعِبُ

شَعَرَ لُؤْلُؤٌ بِالْأَلَمِ الشَّدِيدِ فِي ذَيْلِهِ الْجَدِيدِ ، وَحَاوَلَ أَنْ يَلْعَقَهُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَلْعَقُ الْقِطَطُ ذُيُولَهَا حِينَمَا تُحِسُّ بِالْأَلَمِ ، وَلَكِنَّ لِسَانَهُ لَمْ يَكُنْ كَلِسَانِ الْقِطَطِ جَافًّا خَشِنًا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنَظِّفَ بِهِ ذَيْلَهُ أَوْ يَلْعَقَهُ . وَسُرْعَانَ مَا تَبَلَّلَ شَعْرُ ذَيْلِهِ وَضَمَرَ . . . فَاسْتَعَانَ بِرِجْلِهِ ، وَأَخَذَ يَحُكُّ بِهَا ذَيْلَهُ قَلِيلًا ، فَشَعَرَ بِشَيْءٍ مِنَ التَّحَسُّنِ وَالرَّاحَةِ ، وَلَكِنَّ الذَّيْلَ لَمْ يَعُدْ جَمِيلًا كَمَا كَانَ .

وَٱسْتَمَرَّ لُوْلُوْ فِى سَيْرِهِ ، وَكَانَ يَهُزُّ ذَيْلَهُ بِزَهْوٍ وَإِعْجَابٍ ، وَيُدِيرُ رَأْسَهُ بَيْنَ ٱلْحِينِ وَٱلْحِينِ لِيَنْظُرَ إِلَيْهِ نَظْرَةَ ٱلرِّضَا وَٱلسَّعَادَةِ .

وَبَيْنَمَا كَانَ سَائِراً فِى الطَّرِيقِ ، لَمَحَ بَعْضَ ٱلْجَرَادِ ، فَتَوَقَّفَ عَنِ ٱلسَّيْرِ وَأَخَذَ يُقَلِّدُ ٱلْقِطَّ ٱلْبَرِّىَّ حِينَمَا يَسِيرُ عَلَى أَطْرَافِ قَدَمَيْهِ فِى حَذَرٍ ، وَحِينَمَا يُقَوِّسُ ظَهْرَهُ ، ثُمَّ يَقْفِزُ قَفَزَاتٍ رَائِعَةً وَذَيْلُهُ مَرْفُوعٌ فِى ٱلْهَوَاءِ . . .

أَمَّا ٱلْجَرَادُ فَقَدْ كَانَ يَقْفِزُ مُبْتَعِداً عَنْ طَرِيقِهِ ، وَهُوَ يَضْحَكُ سَاخِراً : « ٱنْظُرُوا إِلَى لُوْلُوْ . . . ٱنْظُرُوا إِلَى لُوْلُوْ . . . إِنَّهُ يُقَلِّدُ ٱلْقِطَّ » .

وَأَخَذَ ٱلْجَرَادُ يُعِيدُ هَذَا ٱلْكَلَامَ مَرَّةً وَمَرَّاتٍ . . .

أَمَّا لُوْلُوْ فَكَانَ مَسْرُوراً لَا يَهْتَمُّ بِهَذَا ٱلْكَلَامِ فِى أَوَّلِ ٱلْأَمْرِ ، وَلَكِنَّهُ بَدَأَ يَتَضَايَقُ مِنْ سُخْرِيَةِ ٱلْجَرَادِ ، وَلِذَلِكَ أَخَذَ يَضْرِبُ بِذَيْلِهِ لِيَصْطَادَهُ ، وَلَكِنَّ ٱلْجَرَادَ كَانَ لَاهِياً يُغَنِّى : « ٱنْظُرُوا إِلَى لُوْلُوْ . . . ٱنْظُرُوا إِلَى لُوْلُوْ » .

وَبَدَأَ ذَيْلُ ٱلْقِطِّ ٱلْجَدِيدِ يُسَبِّبُ لَهُ بَعْضَ ٱلْمُضَايَقَاتِ . . . فَحِينَمَا كَانَ يُحَرِّكُهُ بَيْنَ ٱلْأَعْشَابِ وَٱلْأَشْوَاكِ كَانَتْ تَعْلَقُ بِهِ أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ ، فَقَدْ عَلِقَتْ بِهِ أَشْوَاكٌ وَحَشَرَاتٌ طُفَيْلِيَّةٌ ، وَحَشَائِشُ صَغِيرَةٌ جَافَّةٌ ، وَأَصْبَحَ ٱلذَّيْلُ ٱلْجَمِيلُ قَذِراً مُؤْلِماً .

وَحَاوَلَ لُوْلُوْ أَنْ يُنَفِّضَهُ أَوْ يَهُزَّهُ لِيُخَلِّصَهُ مِمَّا بِهِ ، وَلَكِنْ دُونَ جَدْوَى . ثُمَّ حَاوَلَ أَنْ يَلْعَقَهُ ، وَلَكِنَّ ذَيْلَهُ ٱبْتَلَّ كَثِيراً وَازْدَادَتْ قَذَارَتُهُ .

وحاوَلَ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِمَّا عَلِقَ بِذَيْلِهِ كَمَا تَفْعَلُ ٱلْقِطَطُ ، ولَـكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَاهِراً فِي هَذَا ٱلْعَمَلِ ، ولَمْ يَنْجَحْ إِلَّا فِي نَدْفِ بَعْضِ خُصَلِ ٱلشَّعْرِ . وأَخِيراً أَخْطَأَ ، فَعَضَّ نَفْسَهُ عَضَّةً مُؤْلِمَةً .

ثُمَّ رَأَى أَنَّهُ مِنَ ٱلْأَصْوَبِ أَنْ يُسْرِعَ بِالذَّهَابِ إِلَى أَصْدِقَائِهِ وأَقَارِبِهِ لِيُرِيَهُمْ ذَيْلَهُ ٱلْجَدِيدَ قَبْلَ أَنْ يَضِيعَ جَمَالُهُ كُلُّهُ ... ولَـكِنَّهُ مَا كَادَ يَسِيرُ حَتَّى سَمِعَ صَرْخَةً عَالِيَةً فَوْقَ رَأْسِهِ . . . لَقَدْ كَانَ قِيقاً أَزْرَقَ[1] . ولَمْ تَمْضِ لَحْظَةٌ حَتَّى سَمِعَ صَرْخَةً ثَانِيَةً آتِيَةً مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى ... ثُمَّ هَبَطَتْ عَلَيْهِ ثَلَاثَةُ غِرْبَانٍ ، وأَخَذَتْ هِيَ ٱلْأُخْرَى تُحَلِّقُ فَوْقَهُ ... ووَقَفَ أَحَدُ ٱلْغِرْبَانِ عَلَى قِمَّةِ شَجَرَةٍ عَالِيَةٍ ، وأَخَذَ يَنْعَقُ ويَصِيحُ صِيَاحاً عَالِياً . . . وتَعَاوَنَ ٱلْغِرْبَانِ ٱلْآخَرَانِ مَعَ ٱلْقِيقِ ٱلْأَزْرَقِ فِي ٱلْهُجُومِ عَلَى ٱلْأَرْنَبِ ٱلصَّغِيرِ ٱلْمِسْكِينِ ... وأَخَذَتْ تُرَفْرِفُ حَوْلَهُ بِأَجْنِحَتِهَا ...

(١) القيق : طائر مفترس

وصاحَ لُؤْلُؤٌ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : « أَنَا لَسْتُ قِطًّا ، أَنَا لُؤْلُؤٌ ٱلْأَرْنَبُ ٱلصَّغِيرُ » .
ولَكِنَّ ٱلطُّيُورَ كَانَتْ تُرَدِّدُ صِيَاحَهَا بِصَوْتٍ يُصِمُّ ٱلْآذَانَ لِدَرَجَةٍ لَا تُمَكِّنُ أَحَداً مِنْ سَمَاعِ صَيْحَاتِ لُؤْلُؤٍ ٱلْمِسْكِينِ ، بَلْ لَمْ تُمَكِّنْهُ نَفْسَهُ مِنْ سَمَاعِ صِيَاحِهِ .

وَحِينَما وَصَل إِلَى ٱلْمَكَانِ زَوْجَانِ مِنْ طُيُورِ « أَبُو ٱلْحِنَّاءِ » وَٱشْتَرَكَا فِى ٱلْمَعْرَكَةِ — أَصْبَحَ مِنَ ٱلْمُتَعَذِّرِ أَنْ يَسْمَعَ ٱلْإِنْسَانُ شَيْئاً عَلَى ٱلْإِطْلَاقِ . . .

وَلَمْ تَسْتَطِعْ ٱلطُّيُورُ أَنْ تُمَيِّزَ شَيْئاً فِى لُؤْلُؤٍ ٱلْأَرْنَبِ ٱلصَّغِيرِ — وَهُوَ بَيْنَ ٱلْأَعْشَابِ — غَيْرَ ذَيْلِهِ ٱلطَّوِيلِ ٱلْمُخَطَّطِ ، ٱلَّذِى كَانَ يُشْبِهُ ذَيْلَ ٱلْقِطِّ تَمَاماً — وَكَانَتْ هَذِهِ ٱلطُّيُورُ تَكْرَهُ ٱلْقِطَطَ كُرْهاً شَدِيداً . . .

حَاوَلَ لُؤْلُؤٌ أَنْ يَهْبِطَ ٱلتَّلَّ ، وَبَذَلَ فِى ذَلِكَ جُهْداً كَبِيراً ، وَلَكِنَّهُ أَدْرَكَ أَنْ لَا فَائِدَةَ مِنْ هَذَا ٱلْأَمَلِ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ حَيَوَانٍ صَغِيرٍ عَلَى ٱلتَّلِّ يُسْرِعُ إِلَى مَصْدَرِ ٱلصَّوْتِ وَيَشْتَرِكُ فِى ٱلصِّيَاحِ ، أَوْ يَسْتَقِرُّ فِى مَخْبَئِهِ وَيُغْلِقُ عَلَيْهِ ٱلْبَابَ .

وَمَعَ ذَلِكَ ٱضْطُرَّ لُؤْلُؤٌ أَنْ يَسِيرَ فِى طَرِيقِهِ . . .

وَكَانَتِ ٱلطُّيُورُ قَدْ تَجَمَّعَتْ وَأَخَذَتْ تُحْدِثُ صَوْتاً مُخِيفاً ، ثُمَّ أَخَذَتْ تُحَلِّقُ بِٱلْقُرْبِ مِنْ لُؤْلُؤِ ٱلْمِسْكِينِ — وَقَدْ شَجَّعَهَا عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَقِفْ عَلَى قَدَمَيْهِ وَيَمُوءْ بِصَوْتٍ عَالٍ كَمَا تَفْعَلُ ٱلْقِطَطُ عَادَةً فِى مِثْلِ هَذِهِ ٱلْأَحْوَالِ . . . وَلَقَدْ نَقَرَهُ طَائِرٌ فِى ذَيْلِهِ ، وَضَرَبَهُ غُرَابٌ بِجَنَاحِهِ ضَرْبَةً شَدِيدَةً عَلَى وَجْهِهِ .

وَبَعْدَ جَهْدٍ كَبِيرٍ وَصَلَ لُؤْلُؤٌ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَلَكِنَّهُ وَجَدَ ٱلْأَبْوَابَ مُغْلَقَةً فَأَخَذَ يَطْرُقُ ٱلْبَابَ ، وَهُوَ يَصِيحُ : « أُمَّاهْ !! أَبَتَاهْ !! ٱفْتَحُوا

ٱلْبَابَ . أَنَا لُؤْلُؤٌ . دَعُونِى أَدْخُلْ » . وَلَكِنْ لَمْ يَسْمَعْهُ أَحَدٌ ، وَلِذَلِكَ قَصَدَ إِلَى جُحْرِ عَمِّهِ حَيْثُ يَعِيشُ أَبْنَاءُ عَمِّهِ جَمِيعاً . وَكَانَ يَتَمَنَّى أَنْ يُرِيَهُمْ ذَيْلَهُ ٱلْجَدِيدَ ، وَلَكِنَّ هَذَا ٱلْبَيْتَ أَيْضًا كَانَ مُقْفَلاً ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَحَدٌ بِٱلْقُرْبِ مِنْهُ . . . لَقَدِ ٱخْتَفَتْ كُلُّ ٱلْمَخْلُوقَاتِ ، وَقَبَعَتْ فِى مَخَابِئِهَا ، وَلَمْ تَخْرُجْ مِنْهَا .

وَهُنَا كَانَتِ ٱلسَّيِّدَةُ ٱلَّتِى تَسْكُنُ ٱلْمَنْزِلَ ٱلْكَبِيرَ عَلَى ٱلتَّلِّ قَدْ سَمِعَتْ

صِيَاحَ ٱلطُّيُور ، فَنَادَتِ ٱبْنَهَا : « يَا بُنَيَّ ... هُنَاكَ قِطٌّ غَرِيبٌ يُضَايِقُ ٱلطُّيُورَ ... حَاوِلْ أَنْ تَطْرُدَهُ » . جَمَعَ ٱلْوَلَدُ — وَهُوَ نَفْسُهُ صَاحِبُ ٱلْفخِّ — عَدَداً مِنْ قِطَعِ ٱلْأَحْجَارِ ٱلصَّغِيرَةِ ، وَخَرَجَ يَبْحَثُ عَنْ ذَلِكَ ٱلْقِطِّ ٱلَّذِي سَمِعَ بِهِ ، فَٱسْتَطَاعَ أَنْ يَرَى ذَيْلَ قِطٍّ مُخَطَّطٍ يَتَجَوَّلُ فِي ٱلْمَزَارِعِ ، فَبَدَأَ يَقْذِفُهُ بِقِطَعِ ٱلْأَحْجَارِ ٱلصَّغِيرَةِ لِيَبْتَعِدَ عَنْ ذَلِكَ ٱلْمَكَانِ ...

وَوَقَعَ ٱلْحَجَرُ ٱلْأَوَّلُ قَرِيباً مِنْ لُؤْلُؤٍ ، فَقَفَزَ سَرِيعاً إِلَى ٱلشِّمَال ، ثُمَّ مَرَّ حَجَرٌ ثَانٍ مِنْ فَوقِ جِسْمِهِ ، وَسَقَطَ ثَالِثٌ أَمَامَهُ مُبَاشَرَةً ، فَقَفَزَ سَرِيعاً إِلَى ٱلْخَلْفِ . وَسَقَطَ حَجَرٌ آخَرُ بَيْنَ ٱلْأَعْشَابِ عَنْ يَمِينِهِ ، فَجَرَى نَحْوَ ٱلْيَسَار . وَسَقَطَ حَجَرٌ غَيْرُهُ عَنْ يَسَارِهِ فَقَفَزَ نَحْوَ ٱلْيَمِينِ . وَهَكَذَا صَارَ لُؤْلُؤٌ يَقْفِزُ مَرَّةً إِلَى ٱلْخَلْفِ ، وَمَرَّةً إِلَى ٱلْأَمَامِ عِبْرَ ٱلْحُقُولِ ، حَتَّى تَعِبَ وَٱرْتَبَكَ . . .

وَحِينَمَا بَدَأَتِ ٱلْأَحْجَارُ تَتَسَاقَطُ ، تَرَاجَعَتِ ٱلطُّيُورُ . وَكَانَ هَذَا ٱلْعَمَلُ إِنْقَاذاً لَهُ . . . وَلَكِنَّ ذَيْلَ ٱلْقِطِّ كَانَ يُضَايِقُهُ ، فَقَدِ ٱمْتَلَأَ بِٱلْأَعْشَابِ ٱلْجَافَّةِ وَٱلْأَشْوَاكِ . وَحَاوَلَ لُؤْلُؤٌ أَنْ يَصْعَدَ ٱلتَّلَّ مَرَّةً ثَانِيَةً ، وَيَتَّجِهَ إِلَى مَنْزِلِ صَدِيقِهِ ٱلْعَجُوزِ . . .

وَٱقْتَرَبَ ٱلْمَسَاءُ وَهَبَّتِ ٱلرِّيحُ بَارِدَةً . وَأَخَذَ ٱلرَّذَاذُ يَتَسَاقَطُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ ، وَأَحَسَّ لُؤْلُؤٌ بِٱلْبُرُودَةِ وَٱلرُّطُوبَةِ وَٱلْجُوعِ وَٱلشَّقَاءِ . وَكَانَ ذَيْلُهُ يُؤْلِمُهُ أَلَماً شَدِيداً فِي ٱلْمَوْضِعِ ٱلَّذِي أَقْفَلَ ٱلْبَابُ عَلَيْهِ ، وَفِي ٱلْمَوْضِعِ ٱلَّذِي نَقَرَهُ فِيهِ ذَلِكَ ٱلطَّائِرُ ٱلْمَلْعُونُ ، وَلَكِنَّهُ بِرَغْمِ ذَلِكَ أَخَذَ يَتَحَامَلُ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى مَنْزِلِ ٱلرَّجُلِ ٱلْعَجُوزِ ، وَهُنَاكَ وَجَدَ عَلَى ٱلْبَابِ لَافِتَةً كُتِبَ عَلَيْهَا : « نَائِمٌ . . . لَا تُزْعِجْنِي » .

وَهَكَذَا وَجَدَ لُؤْلُؤٌ نَفْسَهُ بَعْدَ هَذَا ٱلْبُؤْسِ وَٱلشَّقَاءِ مُضْطَرّاً إِلَى ٱلْمَبِيتِ بَيْنَ ٱلْأَعْشَابِ ٱلنَّدِيَّةِ ٱلْمُبْتَلَّةِ . وَكَانَتِ ٱلرِّيَاحُ تَزْدَادُ بُرُودَةً ، وَٱلرَّذَاذُ يَزْدَادُ شَيْئاً فَشَيْئاً . أَمَّا ذَيْلُهُ فَقَدْ كَانَ يُسَبِّبُ لَهُ أَلَماً فَظِيعاً لَا يُحْتَمَلُ . . .

زَهْوٌ وَفَخْرٌ

أَيْقَظَتْ لُؤْلُؤاً شَمْسُ الصَّبَاحِ السَّاطِعَة ، وَكَانَ الْمَطَرُ قَدِ انْقَطَعَ ، وَالْجَوُّ قَدْ صَحَا . وَلَكِنَّ لُؤْلُؤاً لَمْ يَشْعُرْ بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الدِّفْءِ أَوْ تِلْكَ السَّعَادَةِ ، بَلْ لَمْ يَشْعُرْ بِمَا لِلْحَيَاةِ مِنْ بَهْجَةٍ وَهَنَاءٍ ، فَقَدْ كَانَ جِسْمُهُ مُتَصَلِّباً مِنْ شِدَّةِ الْبُرُودَةِ وَقَسْوَةِ الرُّطُوبَةِ ، وَكَانَ جَوْعَانَ . أَمَّا ذَيْلُهُ فَكَانَ فِي حَالَةٍ سَيِّئَةٍ جِدًّا ، كَانَ مُبْتَلًّا مُتَوَرِّمًا ، مُوحِلًا ، مَمْلُوءاً بِالْأَشْوَاكِ وَالْأَقْذَارِ ، وَكَانَ يُؤْلِمُهُ أَلَمًا مُسْتَمِرًّا لِدَرَجَةٍ لَمْ يُفَكِّرْ مَعَهَا فِي أَنْ يُحَرِّكَهُ .

وَأَخَذَ لُؤْلُؤٌ يَفْرُكُ عَيْنَيْهِ: وَيَمْتَطِى ، وَيُحَرِّكُ عَضَلَاتِهِ وَمَفَاصِلَهُ لِيُزِيلَ شَيْئاً مِنَ ٱلتَّصَلُّبِ عَنْهَا ... وَبَيْنَمَا كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ ، إِذَا بِهِ يَرَى حَيَّةً تُقْبِلُ زَاحِفَةً نَحْوَهُ . وَكَانَتْ ٱلْحَيَّةُ مَمْلُوءَةً بِالنَّشَاطِ وَالْحَيَاةِ ، بَعْدَ أَنْ غَيَّرَتْ جِلْدَهَا ٱلْقَدِيمَ ، وَٱسْتَبْدَلَتْ بِهِ ثَوْباً قَشِيباً زَاهِياً مَلَأَهَا نَشَاطاً وَزَهْواً ...

وَحِينَمَا لَمَحَتْ لُؤْلُؤاً قَالَتْ : « يَا إِلٰهِى ! مَا ٱلَّذِى حَدَثَ لَكَ يَا لُؤْلُؤُ ٱلصَّغِيرُ ؟ وَمَا ٱلَّذِى أَصَابَ ذَيْلَكَ ؟ إِنَّهُ لَيْسَ ذَيْلَكَ أَنْتَ أَبَدًا ! ...

إِنَّ هَذَا ٱلذَّيْلَ يُشْبِهُ ذَيْلَ ٱلْقِطِّ ... وَلَكِنْ أَىُّ قِطٍّ هَذَا ٱلَّذِى يَقْبَلُ ذَيْلًا أَشْعَثَ مِثْلَ هَذَا ٱلذَّيْلِ ؟ ! أَخْبِرْنِى مَا هَذَا ٱلَّذِى أَرَاهُ ؟ ! .

أَخَذَ لُؤْلُؤٌ يَقُصُّ عَلَى ٱلْحَيَّةِ مَا حَدَثَ لَهُ ، وَذَكَرَ لَهَا كَيْفَ أَنْقَذَ

ٱلْقَزَمَ مِنَ ٱلْفَخِّ ، ثُمَّ كَيْفَ أَعْطَاهُ ٱلرَّجُلُ ٱلْعَجُوزُ هَذَا ٱلذَّيْلَ ٱلْجَدِيدَ ...

وهُنَا قَالَتِ ٱلْحَيَّةُ : « يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أُصَارِحَكَ أَنَّكَ لَمْ تُحْسِنْ ٱلِاخْتِيَارَ ... إِنَّ هَذَا ٱلْخَطَأَ لَا يَلِيقُ حَتَّى بِٱلْأَرَانِبِ !! ... وَأَيَّةُ فَائِدَةٍ تَعُودُ عَلَيْكَ مِنْ هَذَا ٱلذَّيْلِ ٱلطَّوِيلِ بِشَعْرِهِ ٱلْغَزِيرِ ٱلْمُتْعِبِ ؟ » .

ثُمَّ حَرَّكَتِ ٱلْحَيَّةُ ذَيْلَهَا فِي وَهَجِ ٱلشَّمْسِ وَقَالَتْ : « أُنْظُرْ ... هَذَا هُوَ ٱلذَّيْلُ فِي نَظَرِي أَنَا . إِنَّهُ نَظِيفٌ وَمُفِيدٌ وَلَا يُسَبِّبُ تَعَبًا أَوْ مَشَقَّةً . إِنَّهُ أَنِيقٌ ، وَلَا يَتَّسِخُ أَبَدًا ، وَلَا تَعْلَقُ بِهِ ٱلْأَشْوَاكُ أَوِ ٱلْأَوْحَالُ ، وَلَا يَعْلَقُ بِهِ ٱلْمَاءُ . وَذَيْلِي هَذَا كَائِنٌ مَلِيءٌ بِٱلْحَيَاةِ . وَلَهُ قَوَامٌ وَشَكْلٌ وَاضِحٌ مُمَيَّزٌ » .

نَظَرَ لُولُوٌ إِلَى ذَيْلِ ٱلْحَيَّةِ بِعَيْنِ ٱلْحَسَدِ ، ثُمَّ مَا لَبِثَ أَنِ ٱرْتَدَّ بَصَرُهُ إِلَى ذَيْلِهِ ، ثُمَّ قَالَ : « آهِ ... إِنِّي أُفَضِّلُ ذَيْلًا مِثْلَ هَذَا » .

فَرَدَّتْ عَلَيْهِ ٱلْحَيَّةُ ضَاحِكَةً : « هَا ... هَا ... لَا شَكَّ أَنَّ أَيَّ شَيْءٍ آخَرَ سَيَكُونُ أَفْضَلَ بِكَثِيرٍ مِنْ هَذَا ٱلذَّيْلِ ٱلْحَقِيرِ » ، وَأَشَارَتْ إِلَى ذَيْلِهِ ، وَقَالَتْ : « لِمَاذَا لَا تَطْلُبُ مِنَ ٱلرَّجُلِ ٱلْعَجُوزِ أَنْ يَمْنَحَكَ ذَيْلًا كَذَيْلِي ؟ » ، ثُمَّ أَخَذَتِ ٱلْحَيَّةُ تَزْحَفُ فِي طَرِيقِهَا ، وَهِيَ تَضْحَكُ : « هَا ... هَا ... هَا ... »

هُنَا خَرَجَ ٱلرَّجُلُ ٱلْعَجُوزُ مِنْ بَيْتِهِ ، وَنَظَرَ إِلَى أَشِعَّةِ ٱلشَّمْسِ ٱلسَّاطِعَةِ نَظْرَةَ ٱبْتِسَامٍ وَأَمَلٍ . ثُمَّ تَثَاءَبَ . وَٱتَّجَهَ إِلَى ٱللَّافِتَةِ ٱلَّتِي كُتِبَ عَلَيْهَا : « نَائِمٌ ... لَا تُزْعِجْنِي » وَأَنْزَلَهَا مِنْ مَكَانِهَا ... وَلَمَّا هَمَّ بِدُخُولِ مَسْكَنِهِ ،

لَمَحَ لُؤْلُؤاً ٱلْمِسْكِينَ ، فَقَالَ لَهُ : « إِنَّكَ تُشْبِهُ صُنْدُوقَ ٱلْقُمَامَةِ يَا بُنَيَّ !! مَاذَا جَرَى لَكَ أَيُّهَا ٱلْمِسْكِينُ ؟! »

فَصَاحَ لُؤْلُؤٌ حَزِيناً : « لَقَدْ مَرَّتْ بِي أَحْدَاثٌ كَثِيرَةٌ ، وَتَعَرَّضْتُ لِمَصَائِبَ عَدِيدَةٍ » . وَبَدَأَ يَشْرَحُ مَا جَرَى لَهُ . وَلَكِنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلْعَجُوزَ قَاطَعَهُ

قائلًا : اُدْخُلْ قَبْلَ أَنْ تَبْرَدَ شَرَائِحُ اللَّحْمِ ... وَيَنْبَغِي أَنْ يَنْشُفَ جِسْمُكَ أَوَّلًا وَيَدْفَأَ ، ثُمَّ يَنْبَغِي أَنْ تَأْكُلَ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ يُمْكِنُكَ أَنْ تَقُصَّ عَلَيَّ كُلَّ مَا جَرَى لَكَ » . كَانَتْ الْحُجْرَةُ دَفِيئَةً مُرِيحَةً ، تَنْبَعِثُ مِنْهَا رَائِحَةُ « الْبَسْكَوِيتِ » السَّاخِنِ اللَّذِيذِ ، وَالْقَهْوَةِ ، وَالشَّوَاءِ ، وَدُخَانِ الْغَلْيُونِ .

وَقَدَّمَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ لِلأَرْنَبِ كُرْسِيًّا بِالْقُرْبِ مِنَ الْمَوْقِدِ ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَجْلِسَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَحْضَرَ حُزْمَةً مِنَ الْجَزَرِ وَبَعْضَ الْخَسِّ ، كَمَا قَدَّمَ لَهُ تُفَّاحَةً جَمِيلَةً . فَأَقْبَلَ لُولُو عَلَى الطَّعَامِ بِنَهَمٍ شَدِيدٍ ، فِي حِينَ كَانَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ يَلْتَهِمُ مَا أَمَامَهُ مِنَ اللَّحْمِ وَالْبَيْضِ وَالْقَهْوَةِ ...

وَكَانَ لُؤْلُؤٌ بَعْدَ الَّذِى مَرَّ بِهِ فِى اللَّيْلَةِ السَّابِقَةِ قَدْ شَعَرَ بِرَغْبَتِهِ فِى اسْتِرْجَاعِ ذَيْلِهِ الْقَدِيمِ ... أَمَّا الْآنَ بَعْدَ أَنْ شَعَرَ بِالتَّحَسُّنِ وَالرَّاحَةِ . فَقَدْ أَحَسَّ بِرَغْبَتِهِ فِى تَجْرِبَةِ ذَيْلٍ جَدِيدٍ ! . وَلَمْ يَكُفَّ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ عَنِ الضَّحِكِ حِينَمَا سَمِعَ قِصَّةَ لُؤْلُؤٍ ، وَمَا لَقِيَهُ مِنْ مَتَاعِبَ فِى الْيَوْمِ السَّابِقِ ، ثُمَّ ابْتَسَمَ وَقَالَ : « كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّ اخْتِيَارَكَ لِلذَّيْلِ كَانَ اخْتِيَاراً سَخِيفاً لَا يَلِيقُ حَتَّى بِالْأَرَانِبِ ! وَالْآنَ ، مَاذَا تُرِيدُ أَنْ تُجَرِّبَ ؟

وَهُنَا حَكَى لَهُ لُؤْلُؤٌ قِصَّةَ الْحَيَّةِ وَأَخَذَ يَذْكُرُ الْمَزَايَا الَّتِى رَآهَا فِى ذَيْلِهَا .

فَرَدَّ الْعَجُوزُ قَائِلًا : « إِنَّ لَكَ بَعْضَ الْحَقِّ فِيمَا تَقُولُ . وَلَكِنَّ هُنَاكَ أَنْوَاعًا كَثِيرَةً مِنَ الْحَيَّاتِ ، فَأَىَّ ذَيْلٍ تُرِيدُ ؟

فَفَكَّرَ لُؤْلُؤٌ طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ ، « إِنَّنِى أُرِيدُ ذَيْلَ حَيَّةٍ رَقْطَاءَ فَمَا رَأْيُكَ ؟ »

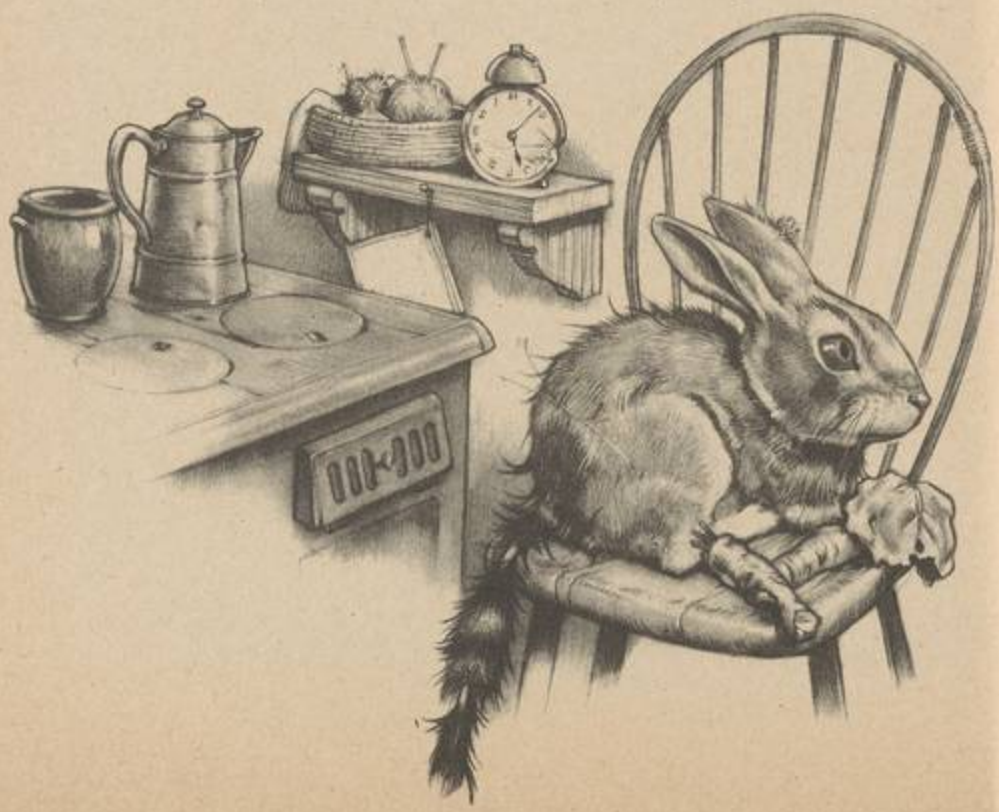

فَرَدَّ عَلَيْهِ ٱلرَّجُلُ ٱلعَجُوزُ : « حَسَنٌ . إِنَّهُ ذَيْلُكَ أَنْتَ . ولَكَ أَنْ تَخْتَارَ مَا تَشَاءُ . وَلَكِنَّ هُنَاكَ مُشْكِلَةً تُحَيِّرُنِى . فَأَيْنَ ذَيْلُ ٱلْحَيَّةِ ؟ وَأَيْنَ يَنْتَهِى ؟.. ٱلنَّاسُ تَقُولُ : إِنَّ ذَيْلَ ٱلْحَيَّةِ يَبْدَأُ مِنْ خَلْفِ أُذُنَيْهَا — لَوْ أَنَّ لِلْحَيَّةِ أُذُنَيْنِ — وَيَنْتَهِى فِى آخِرِ جِسْمِهَا ! . . . » فَرَدَّ لُؤْلُؤٌ : « إِنِّى لَا أُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ذَيْلِى طَوِيلًا جِدًّا ، وَأُفَضِّلُ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ جِسْمِى » .

فَقَالَ ٱلْقَزْمُ : « حَسَنٌ جِدًّا . . . هَيَّا ٱقْفِزْ هُنَا . . . سَأُحَاوِلُ جُهْدِى . . . »

كَانَ ٱلْوِعَاءُ ٱلْحَجَرِىُّ قَدْ أَصْبَحَ دَافِئًا عَلَى ٱلْمَوْقِدِ . . . أَمَّا لُؤْلُؤٌ فَقَدْ قَفَزَ عَلَى ٱلْمِنْضَدَةِ ، وَأَقْفَلَ عَيْنَيْهِ ، وَغَطَّاهُمَا بِقَدَمَيْهِ . . . ثُمَّ بَدَأَ يَشُمُّ ٱلرَّائِحَةَ ٱلْغَرِيبَةَ مَرَّةً ثَانِيَةً . . وَفَجْأَةً شَعَرَ بِٱلرَّجُلِ ٱلعَجُوزِ يُرَبِّتُ عَلَى ظَهْرِهِ وَهُوَ يَصِيحُ وَيَقُولُ : « عَظِيمٌ . . . عَظِيمٌ . . . ٱنْظُرْ . . . »

فَأَدَارَ لُؤْلُؤٌ رَأْسَهُ إِلَى ٱلْخَلْفِ . . . وَكَمْ كَانَتْ دَهْشَتُهُ عَظِيمَةً حِينَ رَأَى ذَيْلَ ٱلْحَيَّةِ ٱلَّتِى ٱخْتَارَهَا يَمْتَدُّ وَرَاءَهُ . . . لَقَدْ كَانَ أَجْمَلَ بِكَثِيرٍ مِنْ ذَيْلِ تِلْكَ ٱلْحَيَّةِ ٱلَّتِى رَآهَا فِى صَبَاحِ ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ . . . كَانَ أَسْوَدَ ٱللَّوْنِ ، لَامِعًا ، خَلْوًا مِنَ ٱلشَّعْرِ ، وَكَانَتْ عَلَيْهِ ثَلَاثَةُ شُرُطٍ جَمِيلَةٍ ذَهَبِيَّةِ ٱللَّوْنِ . وَبَدَأَ

هَذَا ٱلذَّيْلُ يَتَحَرَّكُ ، وَيَهْتَزُّ ، وَيَنْثَنِي وَهُوَ مَمْلُوءٌ بِٱلنَّشَاطِ وَٱلْحَيَاةِ . . . لَقَدْ لَوَاهُ فَلَمَسَ بِهِ أُذُنَهُ ، ثُمَّ وَقَفَ عَلَيْهِ بِرِجْلَيْهِ ٱلْأَمَامِيَّتَيْنِ ، ثُمَّ صَاحَ : « إِنَّهُ ذَيْلٌ عَظِيمٌ جِدًّا . . . إِنَّهُ أَعْجَبُ ذَيْلٍ فِي ٱلْعَالَمِ ! »

فَقَالَ ٱلرَّجُلُ ٱلْعَجُوزُ : « لَا بَأْسَ بِهِ أَبَدًا . . . وَإِنْ أَتَى أَطْوَلَ قَلِيلًا مِمَّا كُنْتُ أُرِيدُ . . . » فَرَدَّ لُؤْلُؤٌ : « إِنَّنِي مَدِينٌ لَكَ بِهَذَا ٱلْفَضْلِ . . . وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُعَبِّرَ لَكَ عَنْ سُرُورِي وَشُكْرِي » .

وَعِنْدَئِذٍ أَشْعَلَ ٱلرَّجُلُ ٱلْعَجُوزُ غَلْيُونَهُ ، وَتَمَدَّدَ فِي كُرْسِيٍّ مُرِيحٍ ، وَقَالَ وَهُوَ يَضْحَكُ : « وَٱلْآنَ . . . يُمْكِنُكَ أَنْ تُجَرِّبَ أَمَامِي » .

فَجَمَعَ لُؤْلُؤٌ كُلَّ أَطْبَاقِ ٱلْإِفْطَارِ ، وَغَسَلَهَا وَجَفَّفَهَا بِٱلْمِنْشَفَةِ . وَكَانَ شَيْئًا

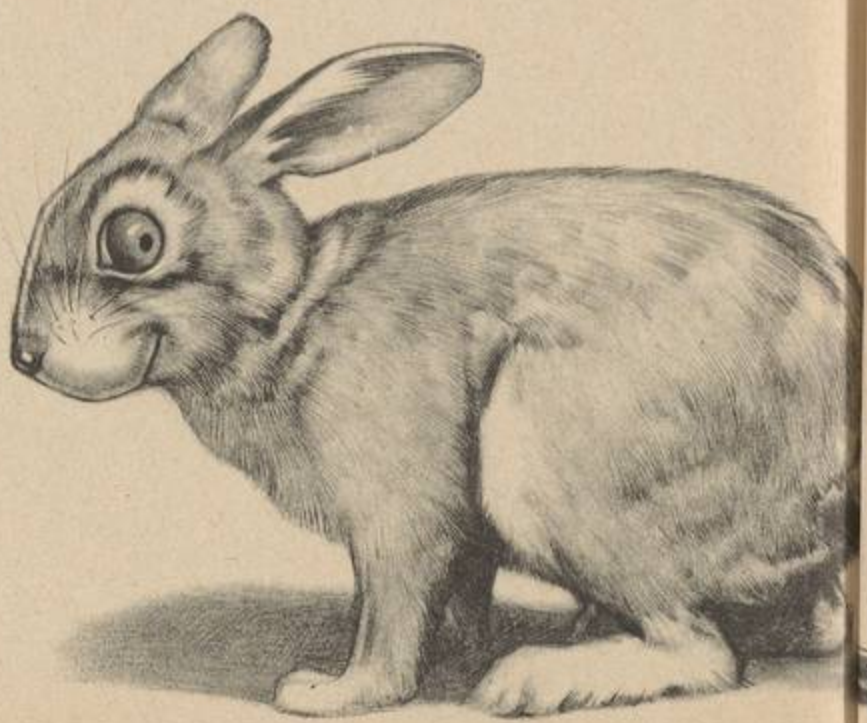

مُضْحِكاً أَنْ يَرَى ٱلْإِنْسانُ لُؤْلُؤًا ، وهُوَ يَلْوِى ذَيْلَهُ ٱلْجَدِيدَ حَوْلَ أَيْدِى ٱلْأَكْوَابِ ، ثُمَّ يَرفَعُها بِهِ إِلَى ٱلصُّوَانِ ، أَوْ يَرْفَعُ بِهِ ٱلْمَلَاعِقَ وَٱلشُّوَكَ ، لِيَضَعَها فِى ٱلْأَدْرَاجِ بِمُنْتَهَى ٱلسُّهُولَةِ . وحِينَمَا ٱنْتَهَى لُؤْلُؤٌ مِنْ عَمَلِهِ ، نَظَّفَ ذَيْلَهُ ، ومَسَحَهُ بِمِنْشَفَةِ ٱلْأَطْباقِ ثُمَّ عَلَّقَ ٱلْمِنْشَفَةَ عَلَى ٱلرَّفِّ .

ولَقَدْ أَعْجَبَ ٱلْقِرَمُ بِٱلذَّيلِ ٱلْجَدِيدِ فَقالَ : « جَمِيلٌ جِدًّا ، ورَائِعٌ . وٱلآنَ ، هَيَّا ٱذْهَبْ لِيَرَاهُ أَصْدِقاؤُكَ وأَقارِبُكَ . . . ولَكِنْ أَرْجُو أَنْ تَبْتَعِدَ عَنِ ٱلْمَتاعِبِ ، وَٱذْكُرْ أَنَّهُ يُمْكِنُكَ ٱلرُّجُوعُ إِلَيَّ إِذا أَتْعَبَكَ هَذَا ٱلذَّيْلُ . . . »

فَشَكَرَهُ لُؤْلُؤٌ ثانِيَةً ، وأَسْرَعَ يَصْعَدُ ٱلدَّرَجَ ، وَلَكِنَّهُ ٱحْتاطَ هَذِهِ ٱلْمَرَّةِ ، فَثَنَى ذَيْلَهُ فَوْقَ ظَهْرِهِ ، قَبْلَ أَنْ يُقْفِلَ ٱلْبابَ عَلَيْهِ ، كَما حَدَثَ فِى ٱلْمَرَّةِ ٱلْأُولَى .

فَضِيحَةٌ وَعَارٌ

أَخَذَ لُؤْلُؤٌ يَهْبِطُ التَّلَّ ، وَقَدْ تَمَلَّكَهُ كَثِيرٌ مِنَ ٱلزَّهْوِ وَٱلْكِبْرِيَاءِ . وَمَرَّ بِالْجَرَادِ ٱلَّذِى كَانَ يُعَاكِسُهُ بِٱلْأَمْسِ . . . وَلَكِنْ حِينَمَا بَدَأَ الْجَرَادُ يَصِيحُ فِى هَذِهِ ٱلْمَرَّةِ : « ٱنْظُرُوا إِلَى لُؤْلُؤٍ ، ٱنْظُرُوا إِلَى لُؤْلُؤٍ » ، أَسْرَعَ وَمَدَّ ذَيْلَهُ ٱلْجَدِيدَ ، وَضَرَبَ بِهِ ٱلْجَرَادَةَ ٱلْكَبِيرَةَ ، فَطَارَتْ فِى ٱلْهَوَاءِ بَعِيداً ، وأَخَذَتْ تَدُورُ حَوْلَ نَفْسِهَا ، وَتَتَرَنَّحُ مِنْ قُوَّةِ ٱلضَّرْبَةِ . . .

ثُمَّ أَقْبَلَتْ ذُبَابَةٌ وحَطَّتْ عَلَى ظَهْرِ لُؤْلُؤٍ، فَلَطَمَهَا كَمَا لَطَمَ الْجَرَادَةَ مِن قَبْلُ وقَالَ فِي نَفْسِهِ : « هَذَا ذَيْلٌ مُفِيدٌ » ثُمَّ أَخَذَ يَقْفِزُ هُنَا وهُنَاكَ ، ويُسَلِّي نَفْسَهُ بِقَطْفِ الزُّهُورِ ، ويَتَدَرَّبُ عَلَى اسْتِخْدامِ ذَيْلِهِ الْجَدِيدِ كَالسَّوْطِ ، وقَدْ نَجَحَ فِي ذَلِكَ ، واسْتَطَاعَ أَنْ يُحْدِثَ بِهِ فَرْقَعَةً عَالِيَةً . . . وقَالَ لِنَفْسِهِ : « لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الذَّيْلَ يَنْفَعُ فِي اللَّعِبِ أَيْضاً . . . أَنَا أَوَّلُ أَرْنَبٍ فِي الْعَالَمِ اسْتَطَاعَ أَنْ يُفَرْقِعَ بِذَيْلِهِ ، مِثْلَ فَرْقَعَةِ سَوْطِ الْحُوذِيِّ . . وعَمَّا قَرِيبٍ يَرَانِي ابْنُ عَمِّي أَرْنَبُو . . . وأَنَا أُرَاهِنُ أَنَّهُ سَيَغَارُ مِنِّي . »

كَانَ ابْنُ عَمِّهِ أَرْنَبُو أَكْبَرَ مِنْهُ سِنًّا ، وكَانَ يَتَكَبَّرُ عَلَيْهِ أَحْيَانًا . . . وأَخِيرًا وصَلَ لُؤْلُؤٌ إِلَى جُحْرِ ابْنِ عَمِّهِ . وهُنَاكَ وجَدَ أَبْنَاءَ عَمِّهِ جَمِيعاً يَلْعَبُونَ فِي الْمَزْرَعَةِ ، فَجَرَى سَرِيعاً لِيُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ ، وهُوَ يَهُزُّ ذَيْلَهُ الْجَدِيدَ فَخُورًا بِهِ ، فَتَوَقَّفَ الْجَمِيعُ عَنِ اللَّعِبِ ، وتَجَمَّعُوا حَوْلَهُ مُنْدَهِشِينَ . ولَكِنَّهُمْ أَظْهَرُوا عَدَمَ رِضَائِهِمْ عَنِ الذَّيْلِ الْجَدِيدِ ، ولا سِيَّما ابْنُ عَمِّهِ أَرْنَبُو الَّذِي قَالَ لَهُ : « مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الذَّيْلُ الَّذِي يَجْعَلُكَ قَرِيبَ الشَّبَهِ بِالْفَأْرِ ؟ ! »

فَأَجَابَ لُؤْلُؤٌ غَاضِباً : « إِنَّكَ مُخْطِئٌ ، فَلَيْسَ هَذَا ذَيْلَ فَأْرٍ ، وإِنَّمَا هُوَ ذَيْلُ حَيَّةٍ . . . انْظُرْ ! ! » وتَرَكَ لُؤْلُؤٌ ذَيْلَهُ يَتَحَرَّكُ ويَتَلَوَّى مِثْلَ ذَيْلِ الْحَيَّةِ تَمَامًا . وهُنَا صَرَخَتْ أَرْنَبَتَانِ صَغِيرَتَانِ مِنْ بَنَاتِ عَمِّهِ صَرْخَةَ الْخَوْفِ ، وأَخَذَتَا تَجْرِيَانِ . أَمَّا ابْنُ عَمِّهِ أَرْنَبُو فَقَدْ قَفَزَ عَالِياً فِي الْهَوَاءِ ، ثُمَّ وقَعَ عَلَى

الذَّيلِ الجَديدِ الجَميلِ ، فَصَرَخَ لُؤْلُؤٌ مِنْ شِدَّةِ الأَلَمِ : « آهْ ! ! » وَاغْرَوْرَقَتْ عَيْناهُ بِالدُّموعِ ، وَجَذَبَ ذَيْلَهُ بَعيدًا عَنِ الخَطَرِ .

وَبَعْدَ أَنْ زَالَ الأَلَمُ قَليلًا ، قَالَ لُؤْلُؤٌ مُتَحَدِّيًا : « إِنَّنِي أَسْتَطيعُ أَنْ أَفْعَلَ بِهَذَا الذَّيْلِ أَشْياءَ كَثيرَةً لَا تَقْدِرُ عَلَيْها أَنْتَ » وَلَكِنْ يُبَرْهِنَ عَلَى كَلَامِهِ ، مَدَّ ذَيْلَهُ ، وَلَفَّهُ حَوْلَ زَهْرَةٍ مِنْ زُهُورِ الأُقْحُوانِ ، وَقَطَعَها بِذَيْلِهِ . فَرَدَّ عَلَيْهِ ابْنُ عَمِّهِ أَرْنَبُو بِاسْتِهْزَاءٍ : « هَذَا شَيْءٌ تافِهٌ » . ثُمَّ قَفَزَ فَوْقَ زَهْرَةٍ أُخْرَى مِنْ زُهُورِ الأُقْحُوانِ ، وَرَفَسَها بِرِجْلَيْهِ الخَلْفِيَّتَيْنِ ، فَقُطِعَتْ بِالطَّريقَةِ الَّتِي قَطَعَ بِها لُؤْلُؤٌ الزَّهْرَةَ الأُولَى . . .

فَقَالَ لَهُ لُؤْلُؤٌ : وَلَكِنَّكَ لَا تَقْدِرُ عَلَى قَطْعِ الزَّهْرَةِ بِذَيْلِكَ . . . »

فَرَدَّ أَرْنَبُو : « وَمَنْ قَالَ لَكَ إِنِّي أُريدُ أَنْ أَقْطَعَ الزَّهْرَةَ بِذَيْلِي ؟ ! إِنِّي لَا أُحِبُّ هَذَا » . فَقَالَ لُؤْلُؤٌ بِكِبْرِياءَ : « أَنَا لَا أَسْتَطيعُ أَنْ أَلْمَسَ أُذُنِي بِذَيْلِي . . فَهَلْ تَسْتَطيعُ أَنْ تَفْعَلَ ذَلِكَ ؟ »

وَلَكِنَّ ٱبْنَ عَمِّهِ لَمْ يَهْتَمَّ حَتَّى بِمُجَرَّدِ ٱلْإِجَابَةِ عَلَى هَذَا ٱلْكَلَامِ وَٱكْتَفَى بِأَنْ تَرَكَ أُذُنَهُ تَتَدَلَّى ، ثُمَّ لَمَسَهَا بِرِجْلِهِ ٱلْخَلْفِيَّةِ ، فَقَالَ لُؤْلُؤٌ وَهُوَ يَهُزُّ ذَيْلَهُ ٱللَّامِعَ وَيَلْوِيهِ فِي أَشِعَّةِ ٱلشَّمْسِ : « وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَإِنَّ ذَيْلِي جَمِيلٌ ! »

فَرَدَّ عَلَيْهِ ٱبْنُ عَمِّهِ سَاخِراً : « حَقّاً إِنَّهُ جَمِيلٌ ، كَذَيْلِ ٱلْفَأْرِ ، وَبَدَأَ يَصِيحُ وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى لُؤْلُؤٍ : « ٱلْفَأْرُ لُؤْلُؤٌ ... ٱلْفَأْرُ لُؤْلُؤٌ ! »

وَفِي ٱلْحَالِ تَجَمَّعَ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ ٱلْأَرَانِبِ ٱلصَّغِيرَةِ ، وَوَقَفَ ٱلْجَمِيعُ فِي دَائِرَةٍ ، وَأَخَذُوا يُغَنُّونَ وَهُمْ يَقْفِزُونَ : « ٱلْفَأْرُ لُؤْلُؤٌ !! ٱلْفَأْرُ لُؤْلُؤٌ !! وَبَيْنَمَا ٱلْأَرَانِبُ ٱلصَّغِيرَةُ تَصِيحُ وَتُغَنِّي حَوْلَ لُؤْلُؤٍ ، وَصَلَ إِلَى ٱلْمَكَانِ زَائِرَانِ جَدِيدَانِ هُمَا ٱلظَّرِبَانِ ، وَفَأْرُ ٱلْجِبَالِ . فَقَدْ سَمِعَا ٱلصِّيَاحَ فَحَضَرَا لِيَسْأَلَا عَنِ ٱلْخَبَرِ .

قَالَ ٱلظَّرِبَانُ[1] بَعْدَ أَنْ فَهِمَ ٱلْقِصَّةَ ٱلْغَرِيبَةَ « عَجِيبٌ يَا لُؤْلُؤُ ٱلْعَظِيمُ ... كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّكَ عِنْدَ مَا تَبْحَثُ عَنْ ذَيْلٍ جَدِيدٍ ، سَوْفَ تَخْتَارُ ذَيْلًا

(١) الظربان طائر من طيور أمريكا الشمالية .

جَمِيلًا حَقًّا ... وَلَكِنْ مَا هَذَا ؟ » وَبَدَأَ يُلَوِّحُ فِي ٱلْهَوَاءِ بِذَيْلِهِ ٱلْأَنِيقِ ٱلْأَسْوَدِ، وَهُوَ مُعْجَبٌ بِهِ. فَبَدَأَ ٱلْخَجَلُ يَتَسَرَّبُ إِلَى نَفْسِ لُؤْلُؤٍ وَقَالَ : « أَظُنُّ أَنَّنِي لَمْ أُحْسِنِ ٱلتَّفْكِيرَ وَٱلِاخْتِيَارَ » . وَهُنَا قَالَ فَأْرُ ٱلْجِبَالِ : « يَا لَلْعَجَبِ ! ! إِنَّ بَعْضَ ٱلْمَخْلُوقَاتِ لَا تَعْرِفُ ٱلْقَنَاعَةَ ... تُرَى مَاذَا تَقُولُ أُمُّكَ ، وَمَاذَا يَقُولُ أَبُوكَ عَنْ هَذَا ٱلذَّيْلِ ٱلْغَرِيبِ ؟ »

فَأَجَابَ لُؤْلُؤٌ وَٱلْقَلَقُ ظَاهِرٌ عَلَيْهِ : « أَنَا لَمْ أُفَكِّرْ فِي هَذَا أَيْضًا » .

فَقَالَ لَهُ ٱلْفَأْرُ وَهُوَ يَبْتَعِدُ عَنْهُ بِخُطُوَاتٍ بَطِيئَةٍ : « كَانَ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تُفَكِّرَ جَيِّدًا » . وَحِينَئِذٍ فَقَطْ بَدَأَ لُؤْلُؤٌ يُفَكِّرُ ، وَيُفَكِّرُ جَيِّدًا ... وَكُلَّمَا تَعَمَّقَ فِي ٱلْفِكْرِ ، زَادَ أَلَمُهُ ، فَقَدْ أَدْرَكَ أَنَّ وَالِدَيْهِ حَزِينَانِ لِغِيَابِهِ وَقَضَائِهِ ٱللَّيْلَ بَعِيدًا عَنْ بَيْتِهِ ، وَمِنَ ٱلْمُحْتَمَلِ أَلَّا يَسُرَّهُمَا هَذَا ٱلذَّيْلُ ٱلْجَدِيدُ . ثُمَّ فَكَّرَ فِي ٱلْإِسْرَاعِ بِالذَّهَابِ إِلَى مَنْزِلِهِ ، لِيَسْمَعَ مَا يَقُولُ أَبُوهُ ، وَمَا تَقُولُ أُمُّهُ ...

وَلَمْ تَسْمَحْ لَهُ ٱلْأَرَانِبُ بِالْخُرُوجِ مِنَ ٱلدَّائِرَةِ ، وَزَادَ ٱلْغِنَاءُ وَٱلْهَرَجُ ، وَلَكِنَّهُ تَمَكَّنَ بَعْدَ مَشَقَّةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ ٱلْخُرُوجِ ، وَقَالَ لِٱبْنِ عَمِّهِ أَرْنَبُو ، وَهُوَ يَضْرِبُهُ بِذَيْلِهِ ٱلْجَدِيدِ عَلَى أَنْفِهِ : « إِنَّ ٱلْغِيرَةَ هِيَ ٱلَّتِي دَفَعَتْكَ إِلَى هَذَا ٱلْعَمَلِ فَأَخَذَتِ ٱلْأَرَانِبُ جَمِيعُهَا تَجْرِي خَلْفَهُ وَهِيَ تَصِيحُ : « ٱلْفَأْرُ

لُؤْلُؤْ . ٱلْفَأْرُ لُؤْلُؤْ » وَٱسْتَمَرَّتْ تُرَدِّدُ هَذِهِ ٱلصَّيْحَةَ حَتَّى تَعِبَتْ . وَٱنْصَرَفَتْ لِشَأْنِهَا وَتَرَكَتْهُ . أَقْبَلَ لُؤْلُؤْ عَلَى مَنْزِلِهِ فَوَجَدَ أُمَّهُ فِى ٱنْتِظَارِهِ . وَعِنْدَمَا رَأَتْهُ جَرَتْ نَحْوَهُ ، وَهِىَ تَقُولُ : « لُؤْلُؤْ ! ٱبْنِى ٱلْعَزِيزَ ! أَيْنَ كُنْتَ ؟ لَقَدْ كُنَّا فِى أَشَدِّ ٱلْقَلَقِ عَلَيْكَ ... وَلَكِنَّهَا سَكَتَتْ فَجْأَةً ، وَذَهَبَ ٱلدَّمُ مِنْ وَجْهِهَا ، فَقَدْ لَمَحَتْ ذَيْلَهُ ٱلْغَرِيبَ ، وَقَالَتْ : « مَا ٱلَّذِى حَدَثَ لَكَ يَا بُنَىَّ ؟ مَا هَذَا ٱلشَّىْءُ

ٱلْمُخِيفُ ؟ » وَلَمْ تَقُلْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَـكِنَّهَا ٱنْفَجَرَتْ بِالْبُكَاءِ . . .

وكانَ ٱلْأَبُ فِي ذَلِكَ ٱلوَقْتِ قَدْ خَرَجَ مِنَ ٱلْجُحْرِ ، وأَخَذَ يَنْظُرُ إِلَى لُؤْلُؤٍ ، وقَدْ مَلَـكَهُ الرُّعْبُ : وأَخِيرًا تَكَلَّمَ : « مَا هَذَا ٱلشَّيْءُ ٱلَّذِي يَتَدَلَّى خَلْفَكَ ؟ ذَيْلُ فَأْرٍ ! يَا لَلْحَسْرَةِ ! هَـذِهِ هِيَ أَكْبَرُ مُصِيبَةٍ نَزَلَتْ بِنا . لَقَدْ كُنْتُ مِنْ وَقْتٍ لِآخَرَ أَسْتَمِعُ إِلَى ٱلْإِشَاعَاتِ ٱلْخَبِيثَةِ ٱلَّتِي تَقُولُ إِنَّ فِي أُسْرَتِنا دَمَ ٱلْفِئْرَانِ ، وكُنْتُ أُنْـكِرُ هِذِهِ ٱلتُّهْمَةَ ، وأَنْفِيهَا بِقُوَّةٍ . أَمَّا ٱلْآنَ فَأَنَا أَرَى ٱبْنِي فَأْراً ! يا لِلْفَضِيحَةِ ! وَيَا لَلْعَارِ ! ! » ثُمَّ صَاحَ بِغَضَبٍ : « ٱذْهَبْ بَعِيداً . . . لَا أُحِبُّ أَنْ أَرَاكَ . . . ٱذْهَبْ ولَا تَعُدْ إِلَيْنَا ثَانِيًا . هَذَا فِرَاقٌ بَيْنَنَا وبَيْنَكَ » .

وَحَاوَلَ لُؤْلُؤٌ أَنْ يَتَكَلَّمَ فَقَالَ : « وَلَكِنَّهُ لَيْسَ ذَيْلَ فَأْرٍ . إِنَّهُ ذَيْلُ حَيَّةٍ . . . »

وَحَاوَلَ أَنْ يُقْنِعَ وَالِدَهُ ، وَأَنْ يَشْرَحَ لَهُ ٱلْقِصَّةَ ، وَلَكِنَّ أَبَاهُ أَسْكَتَهُ غَاضِباً وَقَالَ « قَدْ تَكُونُ ٱلْقِصَّةُ صَحِيحَةً ... وَلَكِنَّ ٱلذَّيْلَ قَبِيحٌ تَعَافُهُ ٱلنَّفْسُ اِذْهَبْ ! »

وَكَانَتِ ٱلْأُمُّ فِي ذَلِكَ ٱلْوَقْتِ تَبْكِي بُكَاءً عَالِياً ، وَبَدَأَتْ تَخْطُو نَحْوَ ٱبْنِهَا . . . وَلَكِنَّ ٱلْأَبَ جَذَبَهَا إِلَيْهِ ثَانِياً ، وَقَالَ « اِذْهَبْ ! . . . اِذْهَبْ ! »

وَمَشَى لُؤْلُؤٌ حَزِيناً ، يَجُرُّ ذَيْلَهُ خَلْفَهُ — وَلَمْ يَشْعُرْ بَعْدَ ذَلِكَ بِرَغْبَةٍ فِي قَطْفِ زُهُورِ ٱلْأَقْحُوَانِ ، وَلَمْ يَعُدْ يُلَوِّحُ بِذَيْلِهِ فِي أَشِعَّةِ ٱلشَّمْسِ . . . وَبَدَأَ يَشْعُرُ بِٱلْجُوعِ ، وَأَسِفَ عَلَى ٱلْغِذَاءِ ٱلشَّهِيِّ ٱلَّذِي أَعَدَّتْهُ لَهُ أُمُّهُ ، وَبَدَأَ يَشْعُرُ بِأَنَّ ٱخْتِيَارَ ذَيْلِهِ ٱلْجَدِيدِ لَمْ يُصِبْ نَجَاحاً كَبِيراً . . . وَفِي ٱلطَّرِيقِ رَأَى لُؤْلُؤٌ قِيقاً[1] وَاقِفاً فَوْقَ شَجَرَةٍ ، ثُمَّ سَمِعَهُ يَقُولُ : « ٱلْفَأْرُ لُؤْلُؤٌ ! ٱلْفَأْرُ لُؤْلُؤٌ ! »

فَنَظَرَ إِلَيْهِ لُؤْلُؤٌ بِغَيْظٍ ، وَقَالَ : « ٱسْكُتْ أَيُّهَا ٱللَّعِينُ ! »

وَأَخَذَ لُؤْلُؤٌ يَزْحَفُ تَحْتَ أَجَمَةٍ حَتَّى وَجَدَ مَكَاناً أَمِيناً يَنَامُ فِيهِ . . .

---

(١) القيق طائر من الطيور الجارحة التى يعيش فى أمريكا الشمالية .

كَانَتِ ٱلشَّجَرَةُ ٱلَّتِي نَامَ تَحْتَهَا لُؤْلُؤٌ تَقَعُ عَلَى جَانِبِ ٱلطَّرِيقِ ٱلْمُؤَدِّي إِلَى ٱلتَّلِّ . وَنَامَ ٱلْأَرْنَبُ ٱلْمِسْكِينُ تَارِكاً ذَيْلَهُ ٱلطَّوِيلَ ٱللَّامِعَ مَمْدُوداً عَلَى ٱلطَّرِيقِ ، وَرَاحَ هُوَ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ . وَحَدَثَ أَنْ كَانَ فَتًى يَصْعَدُ ٱلتَّلَّ مِنَ ٱلطَّرِيقِ نَفْسِهِ ، وَبَعْدَ ظُهْرِ ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ ، وَكَانَ يَحْمِلُ عَلَى كَتِفِهِ فَأْسًا لِيَحْرُثَ بِهَا حَدِيقَةَ ٱلْمَنْزِلِ ٱلْكَبِيرِ فَوْقَ ٱلتَّلِّ ، فَمَا كَادَ يَلْمَحُ ٱلذَّيْلَ ٱلَّذِي يُشْبِهُ ٱلْحَيَّةَ حَتَّى أَنْزَلَ ٱلْفَأْسَ ٱلَّتِي عَلَى كَتِفِهِ ، وَهَوَى بِهَا عَلَيْهِ فَقَطَعَهُ .

هَبَّ لُؤْلُؤٌ مِنْ نَوْمِهِ مَذْعُوراً ، وَصَرَخَ صَرْخَةً عَالِيَةً مِنْ شِدَّةِ ٱلْأَلَمِ ، وَقَفَزَ قَفْزَةً كَبِيرَةً ، فَخَرَجَ مِنْ تَحْتِ ٱلشَّجَيْرَةِ ، وَأَخَذَ يَصْعَدُ ٱلتَّلَّ مُسْرِعاً ، بَعْدَ أَنْ تَرَكَ وَرَاءَهُ ذَيْلَهُ يَتَلَوَّى فِي عُرْضِ ٱلطَّرِيقِ . وَصَاحَ ٱلْفَتَى وَقَدْ عَقَدَتِ ٱلدَّهْشَةُ لِسَانَهُ : « عَجَباً ! يَا إِلَهِي ! مَا هَذَا ٱلشَّيْءُ ٱلْغَرِيبُ ؟ »

وَأَخَذَ ٱلْفَتَى يَنْظُرُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ لِيَرَى مَا تَبَقَّى مِنْ جِسْمِ ٱلْحَيَّةِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ شَيْئاً . ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَحُكُّ رَأْسَهُ : « إِنَّ هَذَا سِرٌّ عَجِيبٌ » ، وَرَفَسَ ٱلذَّيْلَ بِقَدَمِهِ ، وَٱسْتَمَرَّ فِي طَرِيقِهِ يَصْعَدُ ٱلتَّلَّ . . .

أَمَّا لُؤْلُؤٌ فَقَدْ أَسْرَعَ إِلَى مَنْزِلِ ٱلرَّجُلِ ٱلْعَجُوزِ ، وَبَقَايَا ذَيْلِهِ تُؤْلِمُهُ

كَأَنَّهَا نَارٌ تُحْرِقُهُ . وَلَمْ يُحَاوِلْ فِي هَذِهِ ٱلْمَرَّةِ أَنْ يَرَى أَهُنَاكَ لَافِتَةٌ عَلَى ٱلْبَابِ أَمْ لَا ؟ وَإِنَّمَا دَفَعَ ٱلْبَابَ بِقُوَّةٍ وَهَبَطَ ٱلسُّلَّمَ مُسْرِعاً . . . وَدَخَلَ يَصْرُخُ فَوَجَدَ ٱلرَّجُلَ ٱلْعَجُوزَ يَسْتَرِيحُ وَيُدَخِّنُ بَعْدَ أَنْ تَنَاوَلَ طَعَامَ ٱلْغَدَاءِ . . .

وَنَهَضَ ٱلرَّجُلُ ٱلْعَجُوزُ فِي ٱلْحَالِ ، وَذَهَبَ إِلَى ٱلْمَوْقِدِ وَرَفَعَ ٱلْإِنَاءَ

الْحَجَرِيَّ مِنْ فَوْقِهِ وَهُوَ يَقُولُ » : كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّكَ سَتَأْتِي الْآنَ . هَيَّا ! أَسْرِعْ وَاصْعَدْ إِلَى الْمِنْضَدَةِ . وَأَقْفِلْ عَيْنَيْكَ جَيِّداً » .

قَفَزَ لُولُو ، وَتَمَدَّدَ عَلَى الْمِنْضَدَةِ ، وَهُوَ يَبْكِي وَيَرْتَعِشُ ، وَبَدَأَ يَشُمُّ الرَّائِحَةَ الْغَرِيبَةَ تَنْبَعِثُ مِنَ الْإِنَاءِ الْحَجَرِيِّ ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ رَائِحَةً مَقْبُولَةً فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ ، ثُمَّ شَعَرَ بِالْأَلَمِ الشَّدِيدِ يَزُولُ تَدْرِيجاً ، فَأَحَسَّ بِالرَّاحَةِ وَالِاطْمِئْنَانِ . . . وَحِينَئِذٍ قَالَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ » : وَالْآنَ أَيَّ ذَيْلٍ تُرِيدُ ؟ »

فَتَنَهَّدَ لُولُو ، وَقَالَ ذَيْلِي الْأَوَّلَ . . . أَرْجُوكَ » وَشَعَرَ بِشَيْءٍ دَافِئٍ يُوضَعُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ ذَيْلُهُ . وَبَعْدَ بُرْهَةٍ رَبَّتَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ الصَّغِيرُ عَلَى ظَهْرِهِ وَهُوَ يَقُولُ : « أَنْتَ الْآنَ كَمَا كُنْتَ مِنْ قَبْلُ . . . انْظُرْ ! ! »

وَمَدَّ لُولُو رَقَبَتَهُ ، وَأَدَارَ رَأْسَهُ ، فَرَأَى ذَيْلَهُ الْقَدِيمَ الْقَصِيرَ ، فَفَرِحَ بِهِ كَثِيراً .

وَقَدَّمَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ بَعْضَ الطَّعَامِ ، وَقَالَ لَهُ : « تَعَالَ مَعِي الْآنَ . . . أَنْتَ فِي حَاجَةٍ إِلَى النَّوْمِ وَالرَّاحَةِ ! »

فَقَفَزَ لُولُو إِلَى السَّرِيرِ ، وَغَطَّاهُ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ بِغِطَاءٍ ثَقِيلٍ . وَسُرْعَانَ مَا اسْتَغْرَقَ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ .

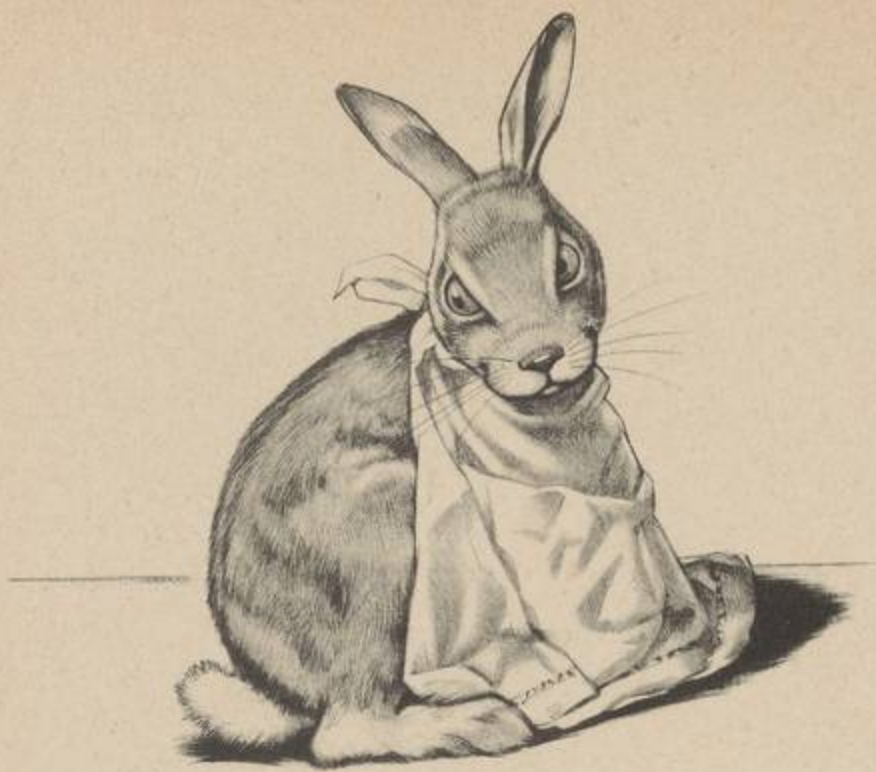

خُيَلَاءُ

نَامَ لُؤْلُؤٌ هَادِئًا حَتَّى ٱلصَّبَاحِ ، حِينَ أَيْقَظَهُ ٱلرَّجُلُ ٱلْعَجُوزُ ، وَقَدَّمَ لَهُ إِفْطَارًا لَذِيذًا شَهِيًّا ، فَشَعَرَ لُؤْلُؤٌ بِٱلصِّحَّةِ وَٱلْعَافِيَةِ ، وَأَصْبَحَ قَانِعًا إِلَى حِينٍ بِذَيْلِهِ ٱلْقَدِيمِ ...

وَغَسَلَ لُؤْلُؤٌ ٱلْأَطْبَاقَ بَعْدَ ٱلْإِفْطَارِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ ٱلرَّجُلُ الصَّغِيرُ :

« وَالآنَ . . أَظُنُّ أَنَّكَ سَتَكُونُ قَنُوعًا ، وَسَتَخْرُجُ رَاضِيًا مَسْرُورًا . وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تَعُودَ ثَانِيًا لِتَطْلُبَ ذَيْلًا آخَرَ ، وَعَلَى أَيَّةِ حَالٍ فَإِنَّنِي مَا زِلْتُ

أُرَحِّبُ بِكَ فِي أَيِّ وَقْتٍ إِنْ أَرَدْتَ تَجْرِبَةً أُخْرَى . أَمَّا الآنَ فَيَحْسُنَ أَنْ تَذْهَبَ إِلَى أُسْرَتِكَ حَالًا وَتَصْطَلِحَ مَعَهَا » .

فَقَالَ لُولُو : إِنَّنِي عَاجِزٌ عَنْ شُكْرِكَ . . لَنْ أُفَكِّرَ فِي تَجْرِبَةِ ذُيُولٍ أُخْرَى » .

فَضَحِكَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ وَقَالَ : « هَذَا رَأْيُكَ الآنَ . . وَلَكِنَّكَ قَدْ تُغَيِّرُهُ غَدًا ، فَإِنَّ ذَاكِرَتَكَ ضَعِيفَةٌ . . بَلْ أَضْعَفُ مِنْ ذَاكِرَةِ بَاقِي الأَرَانِبِ » .

خَرَجَ لُولُو ، وَأَخَذَ يَهْبِطُ التَّلَّ عَدْوًا ، وَهُوَ سَعِيدٌ بِأَنْ عَادَ إِلَيْهِ ذَيْلُهُ الْقَدِيمُ الَّذِي سَيُوَفِّرُ عَلَيْهِ الْمَتَاعِبَ . كَانَ ذَيْلُهُ الْقَدِيمُ أَخَفَّ بِكَثِيرٍ مِنْ ذَيْلِ الْقِطِّ ، وَلَمْ يَخْلُقْ لَهُ مُشْكِلَاتٍ كَتِلْكَ الَّتِي خَلَقَهَا لَهُ ذَيْلُ الْحَيَّةِ . وَاقْتَرَبَ لُولُو مِنْ أَبْنَاءِ عَمِّهِ ، فَبَدَأَ الْجَمِيعُ يَصِيحُونَ : « لُولُو الْفَأْرُ ! لُولُو الْفَأْرُ ! »

وَلَكِنَّهُ رَفَسَ أَرْنَبُو رَفْسَةً قَوِيَّةً فِي صَدْرِهِ ، وَجَرَى فِي طَرِيقِهِ إِلَى بَيْتِهِ . وَنَظَرَ الْجَمِيعُ فَرَأَوْا ذَيْلَهُ الْقَدِيمَ قَدْ رَجَعَ إِلَيْهِ .

وَاسْتَقْبَلَتْهُ أُمُّهُ وَهِيَ تَبْكِي مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ . أَمَّا أَبُوهُ فَقَدْ نَظَرَ إِلَيْهِ نَظْرَةً فِيهَا شَكٌّ وَحَذَرٌ ، وَأَخَذَ يَدُورُ حَوْلَهُ عِدَّةَ مَرَّاتٍ لِيَفْحَصَ ذَيْلَهُ عَنْ قُرْبٍ ، ثُمَّ قَالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ . لَقَدْ زَالَ هَمِّي ، وَيَسُرُّنِي أَنْ عُدْتَ إِلَيْنَا بِذَيْلِكَ الْقَدِيمِ ، وَأَرْجُو أَلَّا تَعُودَ ثَانِيًا إِلَى تِلْكَ الْفَضِيحَةِ » .

وَبَدَأَ لُولُو يَشْرَحُ لَهُمْ قِصَّةَ الْقَزَمِ . . . وَكَيْفَ صَنَعَ لَهُ ذَيْلًا يُشْبِهُ ذَيْلَ الْقِطِّ ، ثُمَّ ذَيْلَ الْحَيَّةِ ، وَاسْتَمَعَ الأَبُ إِلَى الْقِصَّةِ ثُمَّ قَالَ : « لَمْ

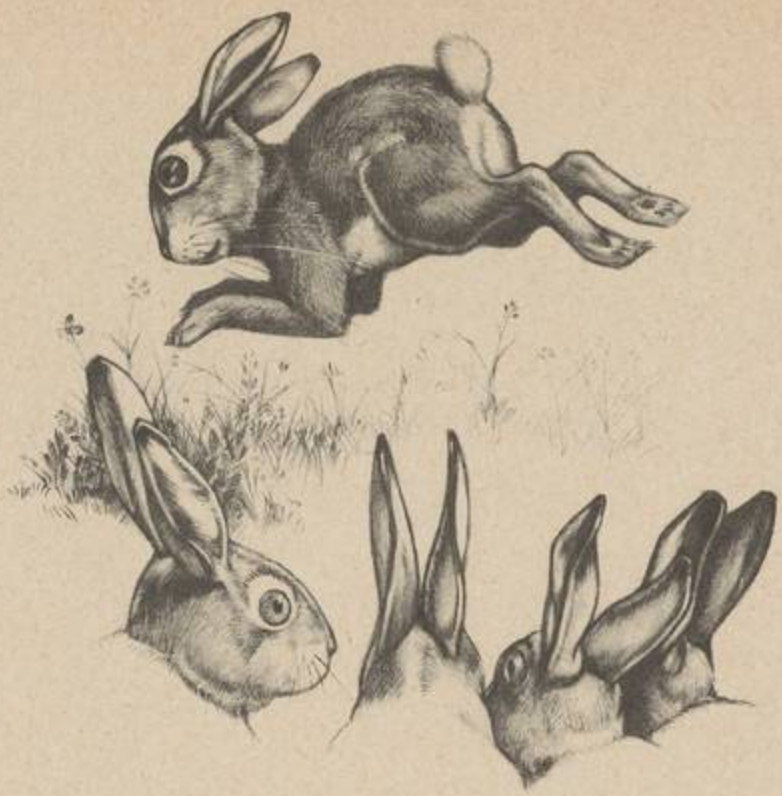

يَكُنْ هَذَا ٱلتَّصَرُّفُ مُنْتَظَرًا حَتَّى مِنَ ٱلْأَرَانِبِ ٱلصَّغِيرَةِ . . . وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ قَدْ تَعَلَّمْتَ دَرْسًا لَا تَنْسَاهُ ، وَأَلَّا تَعُودَ أَبَدًا إِلَى ٱلْإِسَاءَةِ إِلَى سُمْعَتِنَا . وَإِنِّي وَاثِقٌ مِنْ أَنَّكَ سَتَقْنَعُ بِمَا أَعْطَاكَ ٱللهُ مِنْ نِعْمَةٍ ، وَمَا خَلَقَتْهُ فِيكَ ٱلطَّبِيعَةُ وَٱلْوِرَاثَةُ . . . اِعْلَمْ أَنَّ ذَيْلَ ٱلْأَرْنَبِ لَا يُسَبِّبُ خَجَلًا بِٱلْمَرَّةِ » .

وَكَانَ لُؤْلُؤٌ يُنْصِتُ إِلَى أَبِيهِ ، وَيُوَافِقُهُ عَلَى رَأْيِهِ ، ثُمَّ ذَهَبَ يَتَنَاوَلُ مَزِيدًا مِنْ طَعَامِ ٱلْإِفْطَارِ .

وَمَضَى يَوْمَانِ كَانَ لُؤْلُؤٌ فِيهِمَا رَاضِيًا كُلَّ ٱلرِّضَا ، وَقَانِعًا كُلَّ ٱلْقَنَاعَةِ

بِذَيْلِهِ ٱلْقَدِيمِ ، وَكَانَ يُسَاعِدُ أُمَّهُ فِي أَعْمَالِ ٱلْمَنْزِلِ ، وَيَلْعَبُ مَعَ أَبْنَاءِ عَمِّهِ ، وَيَتَعَارَكُ مَعَ أَرْنَبُو ، وَهُوَ فِي غَايَةِ ٱلْمَرَحِ ، وَلَمْ يُفَكِّرْ أَبَدًا فِي ذَيْلِهِ .

وَقَبْلَ أَنْ يَحُلَّ ٱلْيَوْمُ ٱلثَّالِثُ بَدَأَ لُولُو يَنْسَى ٱلْمَتَاعِبَ ٱلَّتِي سَبَّبَهَا لَهُ ذَيْلُ ٱلْقِطِّ ، وَقَبْلَ ٱلْيَوْمِ ٱلرَّابِعِ نَسِيَ ٱلْمَصَاعِبَ ٱلَّتِي لَاقَاهَا مِنْ ذَيْلِ ٱلْحَيَّةِ ، وَفِي ٱلْيَوْمِ ٱلْخَامِسِ عَادَ إِلَيْهِ شُعُورُهُ ٱلْقَدِيمُ ، وَأَصْبَحَ غَيْرَ قَانِعٍ بِذَيْلِهِ ، وَفِي ٱلْيَوْمِ ٱلسَّادِسِ قَابَلَ ٱلثَّعْلَبَ ٱلْأَحْمَرَ فِي ٱلطَّرِيقِ . إِنَّ مَنْظَرَ ذَيْلِ ٱلثَّعْلَبِ ٱلْأَحْمَرِ كَانَ بَدِيعًا حَقًّا . لَقَدْ كَانَ سَمِينًا نَاعِمًا ، لَوْنُهُ أَحْمَرُ بُرْتُقَالِيٌّ ، وَيَنْتَهِي بِلَوْنٍ أَبْيَضَ فِضِّيٍّ فِي أَسْفَلِهِ ، وَيَقْرُبُ طُولُهُ وَسُمْكُهُ مِنْ طُولِ جِسْمِ ٱلثَّعْلَبِ نَفْسِهِ وَسُمْكِهِ .

قَالَ لُولُو لِلثَّعْلَبِ : « مَا أَبْدَعَ مَنْظَرَكَ أَيُّهَا ٱلثَّعْلَبُ ! يُخَيَّلُ لِي أَنَّ لَكَ أَجْمَلَ ذَيْلٍ فِي ٱلْوُجُودِ » .

فَرَدَّ عَلَيْهِ ٱلثَّعْلَبُ بِتَوَاضُعٍ ، وَهُوَ يُلَوِّحُ بِذَيْلِهِ إِلَى ٱلْأَمَامِ وَإِلَى ٱلْخَلْفِ :

« أحقًّا ما تقولُ ؟ إنّني لا أعْلَمُ ذلِكَ عِلْمَ اليَقِينِ . . وَرُبَّمَا كانَ هُناكَ ذُيُولٌ أجْمَلُ أوْ أكْثَرُ مِنْهُ نَفْعًا وَفائِدَةً . . وَلَكِنِّي لَمْ أرَها حَتَّى اليَوْمِ ! »

فَسَألَهُ لُؤْلُؤٌ : « هَلْ ذَيْلُكَ مُفِيدٌ يا سَيِّدِي الثَّعْلَبَ ؟ »

« بِالطَّبْعِ ! وَبِكُلِّ تَأْكِيدٍ ! إنَّهُ يَحْمِيني مِنَ البَرْدِ القارِسِ فِي لَيالِي الشِّتاءِ ، فَأنا أُلُفُّهُ حَوْلَ أطْرافِي ، وَأدْفِنُ فِيهِ رَأْسِي وَأُنْفِي ، وَأنامُ وأنا أشْعُرُ بِالدِّفْءِ العَظِيمِ » .

فَتَنَهَّدَ لُؤْلُؤٌ وَهُوَ يَقُولُ : « كَمْ أتَمَنَّى أنْ يَكُونَ لِي ذَيْلٌ مِثْلُهُ » .

فرَدَّ عَلَيْهِ الثَّعْلَبُ ضاحِكًا : « أنا لا أشُكُّ فِي رَغْبَتِكَ هَذِهِ ، وَأُؤَكِّدُ لَكَ أنَّ هَذِهِ رَغْبَةُ الكَثِيرِينَ . . . حاوِلْ أنْ تَحْصُلَ عَلَى واحِدٍ مِثْلِهِ » .

فَأجابَ لُؤْلُؤٌ : « أعْتَقِدُ أنّني سَأفْعَلُ » .

وَفِي ٱلْحَالِ قَصَدَ ٱلْأَرْنَبُ ٱلصَّغِيرُ مَنْزِلَ ٱلرَّجُلِ ٱلْعَجُوزِ فَوْقَ ٱلتَّلِّ ، فَٱسْتَقْبَلَهُ هَذَا وَهُوَ يَضْحَكُ وَيَقُولُ : « أَيَّتُهَا ٱلْعَزِيزُ لُولُو ! أَتَقْضِي سِتَّةَ أَيَّامٍ كَامِلَةٍ بِدُونِ ذَيْلٍ جَدِيدٍ ؟ ! لَقَدْ بَدَأْتَ تَتَصَرَّفُ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلْعَقْلِ وَٱلْحِكْمَةِ . مَاذَا تُرِيدُ ٱلْآنَ ؟ »

فَقَالَ لُولُو : أُرِيدُ أَنْ يَكُونَ لِي ذَيْلُ ثَعْلَبٍ . إِنَّهُ جَمِيلٌ جِدًّا ، وَمُفِيدٌ أَيْضًا . وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لِي وَاحِدٌ يُشْبِهُهُ » .

فَفَكَّرَ ٱلرَّجُلُ ٱلْعَجُوزُ قَلِيلًا ثُمَّ قَالَ : « حَسَنًا ... إِنَّ لَكَ بَعْضَ ٱلْحَقِّ فِيمَا تَقُولُ ، فَذُيُولُ ٱلثَّعَالِبِ كَمَا رَأَيْتُهَا جَمِيلَةٌ حَقًّا عَلَى أَجْسَامِ ٱلثَّعَالِبِ . بَلْ إِنَّنِي رَأَيْتُ بَعْضَ ٱلسَّيِّدَاتِ يَلْبَسْنَهَا فَوْقَ ثِيَابِهِنَّ . وَأُؤَكِّدُ لَكَ أَنَّ مَنْظَرَهَا لَا بَأْسَ بِهِ . فَإِذَا كُنْتَ حَقًّا تُرِيدُ ذَيْلَ ثَعْلَبٍ فَإِنَّ لَكَ مَا تُرِيدُ . هَيَّا ٱقْفِزْ ، وَأَقْفِلْ عَيْنَيْكَ ، وَلَا تَخْتَلِسِ ٱلنَّظَرَ » .

وَبَدَأَ لُولُو يَشُمُّ ٱلرَّائِحَةَ ٱلَّتِي ٱعْتَادَ أَنْ يَشُمَّهَا مِنَ ٱلْإِنَاءِ ٱلْحَجَرِيِّ .. ثُمَّ شَعَرَ بِٱلْحَرَارَةِ تَسْرِي فِي مُؤَخَّرِ جِسْمِهِ ، كَمَا شَعَرَ بِيَدِ ٱلرَّجُلِ ٱلْعَجُوزِ تُرَبِّتُ عَلَى ظَهْرِهِ ، وَسَمِعَهُ يَقُولُ : « إِلَيْكَ طَلَبَكَ .. ٱنْظُرْ ! ٱنْظُرْ ! وَلَمْ يَكُنْ لُولُو فِي حَاجَةٍ هَذِهِ ٱلْمَرَّةِ إِلَى أَنْ يَمُدَّ رَقَبَتَهُ ، أَوْ يَدُورَ بِرَأْسِهِ لِأَنَّهُ كَانَ يَسْتَطِيعُ إِذَا ٱلْتَفَتَ قَلِيلًا إِلَى ٱلْيَمِينِ أَوْ إِلَى ٱلشِّمَالِ أَنْ يَرَى أَكْثَرَ ٱلذُّيُولِ جَمَالًا ، وَأَعْظَمَهَا نُعُومَةً ... وَصَاحَ ٱلْأَرْنَبُ قَائِلًا : « هَلْ شَاهَدْتَ أَجْمَلَ مِنْهُ ؟ » .

فَأَجَابَ ٱلرَّجُلُ ٱلْعَجُوزُ : «نَعَمْ ! لَقَدْ رَأَيْتُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً أَعْظَمَ جَمَالًا .. وَلَـكِنَّ هَـذَا ٱلذَّيْلَ يَبْدُو جَمِيلًا جِدًّا لَوْ كَانَ عَلَى جِسْمِ ثَعْلَبٍ ، أَمَّا فِي جِسْمِكَ أَنْتَ فَلَا تَسْأَلْنِي . وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَقَدْ طَلَبْتَ مِنِّي ذَيْلَ ثَعْلَبٍ ، وَأَعْطَيْتُكَ مَا تُرِيدُ ... وَٱلْآنَ ، هَيَّا ٱجْرِ ، وَعُدْ إِلَى أَهْلِكَ ، لِأَنِّي سَأَنَامُ وَقْتًا طَوِيلًا بَعْدَ ظُهْرِ ٱلْيَوْمِ » .

أَخَذَ لُؤْلُؤٌ يَتَجَوَّلُ فِي غَابَةِ ٱلصَّنَوْبَرِ .. وَقَدْ غَمَرَتْهُ ٱلسَّعَادَةُ وَٱلْكِبْرِيَاءُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَادِراً عَلَى ٱسْتِعْمَالِ ذَيْلِهِ ٱلْجَدِيدِ ، كَمَا كَانَ يَسْتَخْدِمُ ذُيُولَهُ ٱلْأُخْرَى ... وَلَـكِنَّهُ كَانَ جَمِيلًا جِدًّا .

وَصَارَ لُؤْلُؤٌ يَنْظُرُ إِلَى الْخَلْفِ كَثِيرًا لِيَرَى ذَيْلَهُ الْجَدِيدَ . . ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى شَاطِئِ النَّهْرِ . وَهُنَاكَ وَجَدَ بِرْكَةَ مَاءٍ صَافِيَةً كَالْمِرْآةِ ، فَوَقَفَ يَتَمَتَّعُ بِالنَّظَرِ إِلَى نَفْسِهِ . وَأَمْضَى طِيلَةَ النَّهَارِ عَلَى حَافَةِ الْبِرْكَةِ ، يَنْظُرُ إِلَى نَفْسِهِ ،

وَيُعْجَبُ بِهَا ، وَهُوَ فِي أَوْضَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ .

أَخَذَ لُؤْلُؤٌ يَخْطُو إِلَى ٱلْأَمَامِ ، ثُمَّ إِلَى ٱلْخَلْفِ ، وَذَيْلُهُ مَمْدُودٌ خَلْفَهُ مُنْحَنٍ قَلِيلًا إِلَى أَعْلَى عِنْدَ طَرَفِهِ ... ثُمَّ جَلَسَ يُرَوِّحُ بِهِ مِثْلَ ٱلْمِرْوَحَةِ ،

وَبَعْدَئِذٍ جَلَسَ مُعْجَباً بِهِ وَلَفَّهُ حَوْلَ أَرْجُلِهِ ، فَبَدَا كَإِنَاءٍ مِنَ ٱلصِّينِيِّ عَلَى شَكْلِ أُرْنَبٍ لَهُ قَاعِدَةٌ بُرْتُقَالِيَّةُ ٱللَّوْنِ .

ثُمَّ أَخَذَ يَجْرِي إِلَى ٱلْأَمَامِ وَإِلَى ٱلْخَلْفِ ، تَارِكاً ذَيْلَهُ يَتَدَلَّى خَلْفَهُ وَيَتَمَاوَجُ ، وَٱسْتَمَرَّ عَلَى هَذِهِ ٱلْحَالِ حَتَّى أَقْبَلَ ٱلْمَسَاءُ ، وَلَمْ يَعُدْ خَيَالُهُ يَظْهَرُ فِي ٱلْمَاءِ . وَكَانَ إِعْجَابُهُ بِنَفْسِهِ ، وَفَخْرُهُ بِذَيْلِهِ ٱلْجَدِيدِ ، يَزْدَادُ شَيْئاً فَشَيْئاً . .

وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجْرُؤْ عَلَى ٱلذَّهَابِ إِلَى ٱلْمَنْزِلِ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَخْشَى أَنْ يُغْضِبَ وَالِدَهُ عَلَى ٱلرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ فِي هَذِهِ ٱلْمَرَّةِ لَمْ يَكُنْ يَحْمِلُ ذَيْلَ فَأْرٍ فَيُعَيِّرَهُ بِهِ . . . وَلِذَلِكَ بَحَثَ عَنْ مَكَانٍ هَادِئٍ نَظِيفٍ جَافٍّ ، بِٱلْقُرْبِ مِنْ غَابَةِ ٱلصَّنَوْبَرِ ، لِيَقْضِيَ فِيهِ ٱللَّيْلَ آمِناً دُونَ أَنْ يَتَلَوَّثَ ذَيْلُهُ ٱلْجَدِيدُ ، أَوْ يُصِيبَهُ شَيْءٌ مِنَ ٱلضَّرَرِ .

رَقَدَ لُؤْلُؤٌ ، وَعَزَمَ أَنْ يُمْضِيَ ٱللَّيْلَ فِي هَذَا ٱلْمَكَانِ ، وَتَذَكَّرَ نَصِيحَةَ ٱلثَّعْلَبِ ، فَثَنَى ذَيْلَهُ حَوْلَ قَدَمَيْهِ ، وَدَفَنَ رَأْسَهُ وَأَنْفَهُ فِيهِ ، مَعَ أَنَّ ٱللَّيْلَةَ كَانَتْ مِنْ لَيَالِي ٱلْخَرِيفِ ٱلدَّافِئَةِ . وَلَكِنَّ لُؤْلُؤًا نَفَّذَ ٱلنَّصِيحَةَ بِلَا تَفْكِيرٍ ، فَأَحَسَّ بَعْدَ قَلِيلٍ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلضِّيقِ وَٱلْحَرَارَةِ ، فَلَمْ يَنَمْ . وَعِنْدَمَا ٱقْتَرَبَ ٱلْفَجْرُ ، أَعَادَ ذَيْلَهُ إِلَى مَكَانِهِ ، وَمَدَّهُ خَلْفَ جِسْمِهِ ، وَحِينَئِذٍ فَقَطْ بَدَأَ يَشْعُرُ بِٱلرَّغْبَةِ فِي ٱلنَّوْمِ ، فَغَلَبَهُ ٱلنُّعَاسُ ، وَلَكِنَّ كِلَابَ ٱلصَّيْدِ لَمْ تَتْرُكْهُ يَهْنَأُ بِٱلنَّوْمِ ، فَهَبَّ عَلَى نُبَاحِهَا مَذْعُوراً .

مُصيبَةٌ وَمِحْنَةٌ

هَبَّ لُؤْلُؤٌ مِنْ نَوْمِهِ ، وَأَخَذَ يَنْظُرُ مِنْ خِلَالِ ٱلْأَشْجَارِ ، فَرَأَى عَلَى بُعْدٍ مَجْمُوعَةً مِنْ كِلَابِ ٱلصَّيْدِ وَٱلْخُيُولِ ، كَمَا رَأَى بَعْضَ ٱلصَّيَّادِينَ يَلْبَسُونَ أَرْدِيَةً حَمْرَاءَ فَاتِحَةَ ٱللَّوْنِ . . . وَكَانَ ٱلْجَمِيعُ يَنْفُذُونَ مِنْ بَوَّابَةٍ مُقَامَةٍ عَلَى ٱلطَّرِيقِ .

قَالَ لُؤْلُؤٌ لِنَفْسِهِ : « يَجِبُ أَنْ أَبْتَعِدَ عَنْ هَذَا ٱلْمَكَانِ ٱلْآنَ » ثُمَّ ٱسْتَدَارَ بِسُرْعَةٍ ، وَحِينَئِذٍ أَلْقَتِ ٱلشَّمْسُ أَشِعَّتَهَا عَلَى ذَيْلِهِ ٱلْبُرْتُقَالِيِّ ٱلْجَمِيلِ فَلَمَعَ وَبَرَقَ ،

وَلَمَحَتْهُ كِلَابُ الصَّيْدِ، كَمَا لَمَحَهُ بَعْضُ الصَّيَّادِينَ. وَحِينَئِذٍ قَالَ لُولُوْ لِنَفْسِهِ: «يَجِبُ أَنْ أَخْتَبِئَ فِي الْحَالِ، وَأَبْتَعِدَ عَنْ هَذَا الْمَكَانِ».

وَتَسَلَّلَ خِلَالَ غَابَةِ الصَّنَوْبَرِ، فِي الْأَعْشَابِ وَالْأَشْوَاكِ ... وَفِي هَذَا الْوَقْتِ كَانَتْ فِرْقَةُ الصَّيْدِ تَصْعَدُ التَّلَّ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ.

وَلَمْ يَكُنْ لُولُوْ يَشْعُرُ بِخَوْفٍ شَدِيدٍ، لِأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ حِيَلاً كَثِيرَةً يَتَخَلَّصُ بِهَا مِنْ كِلَابِ الصَّيْدِ، وَكَانَ يَعْرِفُ كُلَّ الْمَخَابِئِ، وَيَعْرِفُ الْأَعْشَابَ الْكَثِيفَةَ، وَحُقُولَ الشَّوْكِ، وَأَسْوَارَ الْأَسْلَاكِ الشَّائِكَةِ، وَكَانَ يَعْرِفُ كُلَّ التُّرَعِ وَالْقَنَوَاتِ، وَيَعْرِفُ أَيْنَ تَضِيقُ بِحَيْثُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْفِزَ فَوْقَهَا، وَأَيْنَ تَكُونُ ضَحْلَةً فَيَسْبَحُ فِيهَا.

وَهُنَا وَصَلَ لُولُوْ إِلَى مَخَاضَةٍ فِي مَجْرَى النَّهْرِ، تَنَاثَرَتْ فِيهَا الصُّخُورُ، وَلِذَا كَانَ مِنَ السَّهْلِ عَلَيْهِ أَنْ يَعْبُرَ. وَكَانَ مُطْمَئِنًا لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ كِلَابَ الصَّيْدِ لَمْ تُدَرَّبْ جَيِّدًا عَلَى اقْتِفَاءِ أَثَرِ الْأَرَانِبِ، وَإِنَّمَا كَانَتْ تُجِيدُ اقْتِفَاءَ أَثَرِ

ٱلثَّعَالِبِ . وَلَمْ يَكُنْ لُولُوْ يَعْلَمُ أَنَّ ذَيْلَهُ ٱلْجَدِيدَ سَيَتْرُكُ رَائِحَةً كَرِيهَةً مِثْلَ رَائِحَةِ ٱلثَّعَالِبِ . وَحِينَمَا سَأَلَ نَفْسَهُ هَذَا ٱلسُّؤَالَ : « هَلْ يَتْرُكُ ذَيْلِي وَرَائِي رَائِحَةً مِثْلَ رَائِحَةِ ٱلثَّعَالِبِ ؟ » بَدَأَ يَشْعُرُ بِٱلْخَوْفِ وَٱلْقَلَقِ .

وَبَيْنَمَا لُولُوْ يُحَاوِلُ أَنْ يَعْبُرَ ٱلنَّهْرَ ، سَمِعَ فَجْأَةً صَوْتَ ٱلْكِلَابِ تَجْرِي فِي أَثَرِهِ بَيْنَ ٱلْأَعْشَابِ وَٱلْأَشْوَاكِ . أَمَّا ٱلصَّيَّادُونَ فَقَدْ رَآهُمْ يَدُورُونَ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ .

كَانَتِ ٱلْأَحْجَارُ ٱلَّتِي فِي ٱلْمُخَاضَةِ وَسَطَ ٱلْمَاءِ مُتَبَاعِدَةً ؛ وَلَكِنَّ لُولُوْ تَعَوَّدَ ٱلْقَفْزَ إِلَيْهَا مِرَارًا . أَمَّا فِي هَذِهِ ٱلْمَرَّةِ فَلَمْ يَعْمَلْ حِسَابُ وَزْنِ ذَلِكَ ٱلذَّيْلِ ٱلْجَدِيدِ ، فَفَقَدَ تَوَازُنَهُ ، وَٱنْزَلَقَتْ أَرْجُلُهُ مِنْ فَوْقِ ٱلْحَجَرِ ٱلْأَخِيرِ ، فَسَقَطَ فِي ٱلْمَاءِ ٱلْبَارِدِ .

كَانَ ٱلْمَاءُ ضَحْلاً ، وَكَانَ لُؤْلُؤٌ قَرِيباً مِنْ ضَفَّةِ ٱلنَّهْرِ ، وَلِذَلِكَ حَاوَلَ ٱلْخُرُوجَ مِنَ ٱلْمَاءِ بِسُرْعَةٍ ، وَلَكِنَّ شَيْئاً وَاحِداً كَانَ يُضَايِقُهُ ، وَهُوَ ذَيْلُهُ ٱلْجَدِيدُ ، ٱلَّذِى أَصْبَحَ مُشَبَّعاً بِالْمَاءِ . وَنَجَحَ لُؤْلُؤٌ فِى ٱلْوُصُولِ إِلَى ٱلْبَرِّ ، وَأَخَذَ يَزْحَفُ بَيْنَ الْأَعْشَابِ . وَلَكِنَّ ذَيْلَهُ ٱلثَّقِيلَ لَمْ يُمَكِّنْهُ مِنَ ٱلسَّيْرِ بِسُهُولَةٍ . فَقَدْ كَانَ مِثْلَ كِيسٍ مِنَ ٱلرَّمْلِ رُبِطَ فِى جِسْمِهِ .

وَتَمَكَّنَ لُؤْلُؤٌ مِنَ ٱلِاخْتِفَاءِ بَيْنَ ٱلْأَعْشَابِ ، قَبْلَ أَنْ تَلْحَقَ بِهِ كِلَابُ ٱلصَّيْدِ ، وَنَظَرَ خَلْفَهُ فَرَأَى ٱلصَّيَّادِينَ فِى حَيْرَةٍ ، لَا يَدْرُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ ، وَرَأَى ٱلْكِلَابَ مُنْتَشِرَةً فِى كُلِّ مَكَانٍ ؛ وَمُرْشِدُ ٱلصَّيَّادِينَ يَنْفُخُ فِى ٱلنَّفِيرِ بِعَزْمٍ وَقُوَّةٍ .

وَتَمَكَّنَ لُؤْلُؤٌ مِنْ أَنْ يَسْتَرِيحَ قَلِيلاً ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ فِي حَاجَةٍ لِكُلِّ دَقِيقَةٍ تَمُرُّ بِهِ ، فَأَخَذَ يَهُزُّ ذَيْلَهُ ٱلثَّقِيلَ بِشِدَّةٍ لِيَنْفُضَ عَنْهُ ٱلْمَاءَ . فَبَدَأَ ذَيْلُهُ يَخِفُّ وَيَجِفُّ فَتَسَلَّلَ لُؤْلُؤٌ صَوْبَ ٱلْمَنْبَعِ مُخْتَفِياً بَيْنَ بَعْضِ ٱلشُّجَيْرَاتِ ثُمَّ عَبَرَ ٱلنَّهْرَ ثَانِيَةً مِنْ مَكَانٍ ضَحْلٍ آخَرَ ، وَوَصَلَ إِلَى ٱلضِّفَّةِ ٱلَّتِي كَانَ عَلَيْهَا أَوَّلاً ، وَٱسْتَمَرَّ سَائِرًا حَتَّى وَصَلَ إِلَى قَنْطَرَةٍ ، عَبَرَ ٱلنَّهْرَ مِنْ جَدِيدٍ . وَكَانَ يَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ ٱلطَّرِيقَةَ سَوْفَ تُضَلِّلُ ٱلصَّيَّادِينَ . وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى غَيْطِ ٱلشَّوْكِ ٱلْكَبِيرِ تَنَهَّدَ وَوَقَفَ يَسْتَرِيحُ قَلِيلاً ، وَقَدْ ظَنَّ أَنَّ ٱلْخَطَرَ أَصْبَحَ بَعِيدًا عَنْهُ . كَانَتْ مِسَاحَةُ غَيْطِ ٱلشَّوْكِ تَبْلُغُ عِدَّةَ أَفْدِنَةٍ ، وَكَانَ لُؤْلُؤٌ يَعْرِفُ ٱلطَّرِيقَ دَاخِلَ ٱلْغَيْطِ جَيِّدًا ، وَيَعْلَمُ أَنَّ كِلَابَ ٱلصَّيْدِ لاَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَدْخُلَ ، فَكَانَ فِي مَأْمَنٍ مِنَ ٱلْكِلاَبِ .

وَمَضَتْ لَحْظَةٌ قَصِيرَةٌ ، ثُمَّ سَمِعَ لُؤْلُؤٌ صَوْتَ ٱلصَّيَّادِينَ يَقْتَرِبُونَ مِنَ ٱلْقَنْطَرَةِ ٱلَّتِي عَبَرَ عَلَيْهَا ٱلنَّهْرَ فَنَظَرَ نَحْوَهُمْ وَضَحِكَ سَاخِراً ، وَقَالَ : « لَقَدْ تَأَخَّرْتُمْ كَثِيرًا » .

ثُمَّ قَفَزَ إِلَى غَيْطِ ٱلشَّوْكِ وَهُوَ يَقُولُ : « لَقَدْ ضَحِكْتُ عَلَيْكُمْ هَذِهِ ٱلْمَرَّةَ » . وَلَكِنْ سُرْعَانَ مَا تَحَوَّلَ ضَحِكُهُ إِلَى صَرْخَةٍ شَدِيدَةٍ ، فَإِنَّ ذَيْلَهُ ٱلْأَحْمَرَ ٱلْجَمِيلَ قَدْ أَحَاطَتْ بِهِ ٱلْأَشْوَاكُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ . وَبَدَأَ لُؤْلُؤٌ يَشْعُرُ بِأَنَّ ذَيْلَهُ ٱلْجَدِيدَ لَنْ يُسَاعِدَهُ عَلَى ٱلْقَفْزِ خِلَالَ غَيْطِ ٱلشَّوْكِ ، فَأَسْرَعَ بِالْخُرُوجِ تَارِكاً خَلْفَهُ جُزْءًا

كَبِيرًا مِنْ شَعْرِ ذَيْلِهِ مُعَلَّقًا عَلَى ٱلْأَشْوَاكِ ، وَلَمْ تَعُدْ هُنَاكَ طَرِيقَةٌ لِلنَّجَاةِ إِلَّا ٱلْجَرْيَ ٱلسَّرِيعَ .

بَدَأَ لُولُو يَجْرِي حَوْلَ غَيْطِ ٱلشَّوْكِ ، ثُمَّ أَخَذَ يَجْرِي بَيْنَ ٱلْأَعْشَابِ . وَفِي هَذَا ٱلْوَقْتِ كَانَتْ كِلَابُ ٱلصَّيْدِ تَعْبُرُ ٱلنَّهْرَ فَوْقَ ٱلْقَنْطَرَةِ ، وَكَانَ لُولُو مَكْشُوفًا تَسْهُلُ رُؤْيَتُهُ ، وَكَانَ يَسْمَعُ صَوْتَ كِلَابِ ٱلصَّيْدِ ، وَصَوْتَ ٱلنَّفِيرِ ، وَصَيْحَاتِ ٱلصَّيَّادِينَ . وَلَكِنَّهُ لَمْ يَعْبَأْ بِهَذَا كُلِّهِ ، بَلِ ٱسْتَمَرَّ يَجْرِي ، وَهُوَ بِطَبْعِهِ حَيَوَانٌ مَاهِرٌ فِي ٱلْجَرْيِ ، وَكَانَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْبِقَ كِلَابَ ٱلصَّيْدِ ٱلصَّائِحَةَ وَٱلصَّيَّادِينَ ٱلْبُلَهَاءَ لَوْلَا هَذَا ٱلذَّيْلُ ٱلْجَدِيدُ ، فَقَدْ كَانَ حِمْلًا ثَقِيلًا . وَتَذَكَّرَ لُولُو ذَيْلَهُ ٱلْقَدِيمَ ، وَبَدَأَ يَتَحَسَّرُ عَلَيْهِ ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ وَقْتٌ لِلتَّفْكِيرِ أَوِ ٱلْحَسْرَةِ وَٱلنَّدَمِ فَقَدْ كَانَ ٱلْهَرَبُ أَهَمَّ مِنْ هَذَا كُلِّهِ فَأَخَذَ لُولُو يَجْرِي خِلَالَ ٱلْأَعْشَابِ وَفَوْقَ ٱلْجُدْرَانِ ، ثُمَّ بَدَأَ يَجْرِي وَسَطَ حُقُولِ ٱلْقَمْحِ ، يَتَخَطَّى ٱلْأَسْوَارَ ، وَيَعْبُرُ ٱلتُّرَعَ وَٱلْمُسْتَنْقَعَاتِ .

وَأَخَذَتْ فِرْقَةُ ٱلصَّيَّادِينَ تَقْتَرِبُ مِنْهُ شَيْئًا فَشَيْئًا ، وَكَادَ لُولُو يَقَعُ فِي أَيْدِيهِمْ ، بَعْدَ أَنْ أَصْبَحَ فِي مِنْطَقَةٍ غَرِيبَةٍ لَا يَعْرِفُهَا . وَلَمْ يَكُنْ يَدْرِي أَيْنَ يَذْهَبُ . وَبَيْنَمَا هُوَ يَجْرِي فِي حَقْلٍ وَاسِعٍ لَمَحَ مَنْزِلًا قَرَوِيًّا . وَهُوَ لَمْ يَكُنْ يُحِبُّ أَنْ يَقْتَرِبَ مِنْ مَسَاكِنِ ٱلْقَرَوِيِّينَ ، وَلَكِنَّهُ فِي هَذِهِ ٱللَّحْظَةِ لَمْ يَجِدْ غَيْرَ طَرِيقٍ وَاحِدٍ لِلنَّجَاةِ ، هُوَ ٱلِاخْتِبَاءُ فِي ذَلِكَ ٱلْمَكَانِ .

وَاقْتَرَبَتِ الْكِلابُ وَخَلْفَهَا مَجْمُوعَةُ الصَّيَّادِينَ . وَلَمْ يَجِدْ لُؤْلُؤٌ أَمَامَهُ غَيْرَ سُورٍ مِنَ الْأَسْلاكِ الشَّائِكَةِ ؛ فَقَفَزَ قَفْزَةً طَوِيلَةً ، وَمَدَّ رِجْلَيْهِ الْأَمَامِيَّتَيْنِ إِلَى الْأَمَامِ . . وَتَبِعَتْهُمَا الرِّجْلانِ الْخَلْفِيَّتَانِ ، وَمَرَّ جِسْمُهُ مِنَ الْأَسْلاكِ بِسَلامٍ . وَلَكِنَّهُ ظَلَّ مُعَلَّقًا بَيْنَ الْأَسْلاكِ مِنْ ذَيْلِهِ . وَأَقْبَلَتِ الْكِلابُ وَهِيَ تَصِيحُ صَيْحَةَ النَّصْرِ .

حَاوَلَ لُؤْلُؤٌ الْخَلاصَ مِنَ الْأَسْلاكِ ، فَأَخَذَ يَشُدُّ نَفْسَهُ وَيُقَاوِمُ ، وَلَمْ يَبْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ كِلابِ الصَّيْدِ إِلَّا مَسَافَةٌ قَصِيرَةٌ ، بَلْ إِنَّ كَلْبَ الصَّيْدِ الْأَوَّلَ أَصْبَحَ عَلَى بُعْدِ خَطَوَاتٍ مِنْهُ . وَحِينَئِذٍ جَمَعَ لُؤْلُؤٌ كُلَّ قُوَّتِهِ ، وَصَرَخَ صَرْخَةً قَوِيَّةً

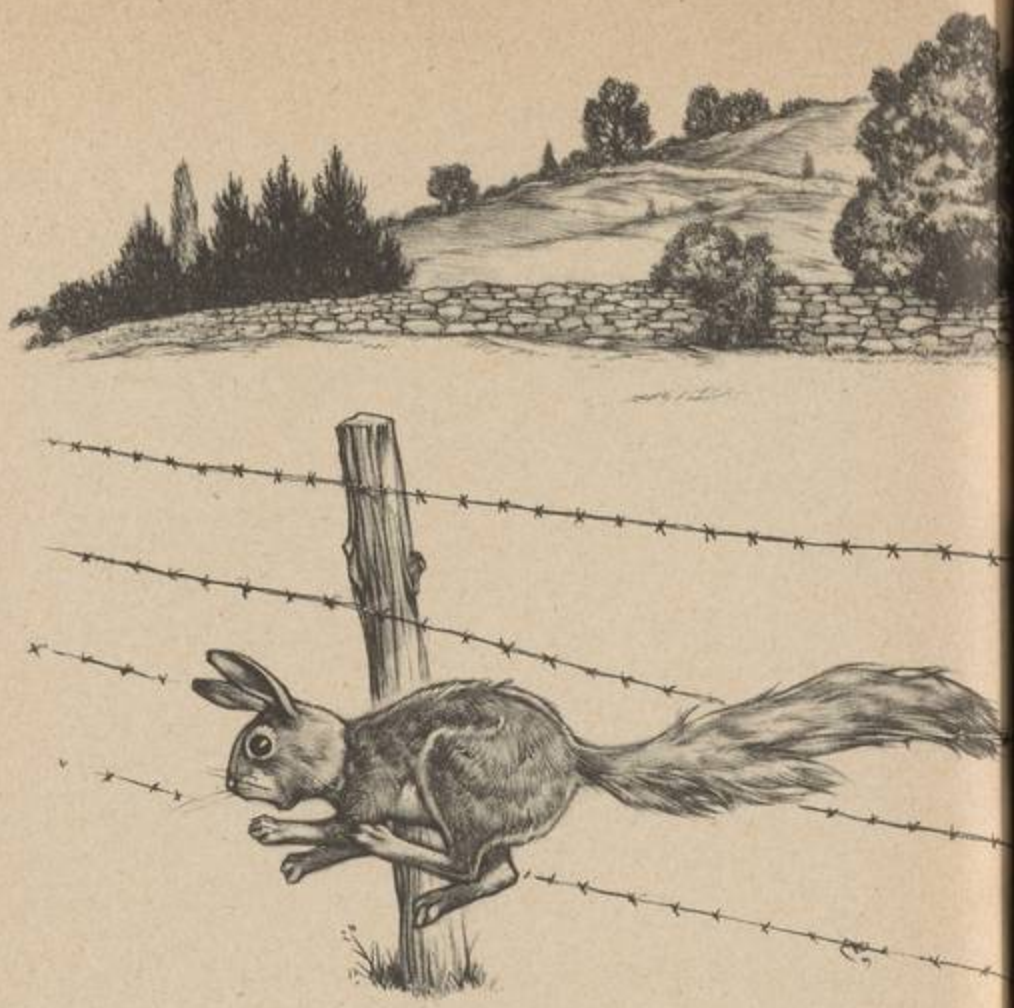

مُرْعِبَةً ، وَجَذَبَ نَفْسَهُ بِشِدَّةٍ فَتَخَلَّصَ مِنَ الْأَسْلاكِ تارِكاً وَراءَهُ عِدَّةَ خُصَلٍ مِنَ الشَّعْرِ الْبُرْتُقالِيِّ مُعَلَّقَةً عَلَى السِّلْكِ الشّائِكِ .

وَأَخَذَ يَجْرِي بِسُرْعَةٍ فِي الطَّرِيقِ ، وَالْكِلابُ تَجْرِي فِي أَثَرِهِ ، عَلَى حِينَ

أَخَذَتْ مَجْمُوعَةُ ٱلصَّيَّادِينَ تَجْرِى بِمُحَاذَاةِ ٱلسِّلْكِ ٱلشَّائِكِ لِتَبْحَثَ عَنْ بَابٍ تَخْرُجُ مِنْهُ . وَفِعْلاً وَجَدَتِ ٱلْبَابَ وَقَفَزَتْ مِنْهُ وَأَتَتْ مُسْرِعَةً .

كَانَ بَابُ ٱلْمَزْرَعَةِ مَفْتُوحاً ، فَأَسْرَعَ لُؤْلُؤٌ إِلَيْهِ . وَبَيْنَمَا هُوَ يَجْرِى لَمَحَ جُحْراً صَغِيراً بِٱلْقُرْبِ مِنْ جِدَارِ ٱلْبِنَاءِ لاَ تَزِيدُ فَتْحَتُهُ عَنْ حَجْمِ جِسْمِ لُؤْلُؤٍ ، فَٱنْحَرَفَ قَلِيلاً بِجِسْمِهِ ، وَقَفَزَ قَفْزَةً كَبِيرَةً ، فَسَقَطَ فِى ٱلْجُحْرِ ٱلْمُظْلِمِ ٱلْبَارِدِ . وَكَانَ ذَلِكَ ٱلْجُحْرُ — لِحُسْنِ حَظِّهِ — هُوَ ٱلْجُحْرَ ٱلْوَحِيدَ فِى هَذَا ٱلْمَكَانِ . وَكَانَ صَغِيراً جِدًّا لاَ يَسْمَحُ لِلْكِلاَبِ بِالدُّخُولِ فِيهِ ، لِأَنَّ فَتْحَتَهُ ٱلْعُلْيَا كَانَتْ ضَيِّقَةً جِدًّا ، لاَ تَزِيدُ عَلَى حَجْمِ ٱلْأَرْنَبِ . . .

أَخَذَتِ ٱلْكِلاَبُ تَنْبَحُ أَمَامَ ٱلْجُحْرِ ، وَتَصْرُخُ ، وَتَنْبُشُ بِأَرْجُلِهَا ، وَلَكِنَّ

سَقْفَ هَذَا ٱلْحُجْرِ كَانَ مِنَ ٱلْحَجَرِ ٱلصَّلْدِ . . وَلِذَلِكَ شَعَرَ لُؤْلُؤٌ بِٱلْأَمَانِ وَلَـٰكِنَّهُ كَانَ فِي غَايَةِ ٱلتَّعَبِ ، فَوَقَعَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ دَاخِلَ ٱلْجُحْرِ .

وَبَدَأَتْ كِلَابُ ٱلصَّيْدِ تُطَارِدُ دَوَاجِنَ ٱلْفَلَّاحِ ، وَكَادَتْ تَأْتِي عَلَى أَحَدِ ٱلدِّيَكَةِ ٱلرُّومِيَّةِ وَثَلَاثِ بَطَّاتٍ وَسَبْعِ فِرَاخٍ .

ثُمَّ وَصَلَ ٱلصَّيَّادُونَ بِخُيُولِهِمْ إِلَى فِنَاءِ ٱلْمَزْرَعَةِ ، فَزَادَ ٱلْهَرْجُ وَٱلِاضْطِرَابُ ، وَكَانَتِ ٱلنَّتِيجَةُ أَنْ خَرَجَتْ بَقَرَتَانِ مِنَ ٱلْحَظِيرَةِ وَأَخَذَتَا تَجْرِيَانِ هَارِبَتَيْنِ ، وَمِنْ خَلْفِهِمَا كِلَابُ ٱلصَّيْدِ تُحَاوِلُ أَنْ تُمْسِكَ بِهِمَا .

وَفِي هَذَا ٱلْوَقْتِ وَصَلَ ٱلْفَلَّاحُ، يَتْبَعُهُ كَلْبُهُ، وَمَعَهُ ٱثْنَانِ مِنْ أَبْنَائِهِ، إِلَى هَذَا ٱلْمَكَانِ فَتَضَاعَفَتِ ٱلضَّوْضَاءُ، وَأَسْرَعَ كَلْبُ ٱلْفَلَّاحِ ٱلضَّخْمُ بِالْهُجُومِ عَلَى كِلَابِ ٱلصَّيْدِ وَكَأَنَّهُ شَيْطَانٌ مَارِدٌ يُرِيدُ ٱلِانْتِقَامَ مِنْهَا. أَمَّا ٱلْفَلَّاحُ فَكَانَ يَحْمِلُ عَلَى كَتِفِهِ بُنْدُقِيَّةً قَوِيَّةً، وَكَانَ كُلُّ وَلَدٍ مِنْ أَبْنَائِهِ يَحْمِلُ عَلَى كَتِفِهِ فَأْسًا، وَكَانُوا جَمِيعًا عَلَى ٱسْتِعْدَادٍ لِلْعِرَاكِ.

وَحَاوَلَ ٱلصَّيَّادُونَ أَنْ يَشْرَحُوا لِلْفَلَّاحِ أَنَّ ثَعْلَبًا قَدِ ٱخْتَفَى فِي مَخْزَنِ ٱلْحُبُوبِ تَحْتَ ٱلْأَرْضِ. وَلَكِنَّ ٱلْفَلَّاحَ لَمْ يَكُنْ يَهْتَمُّ بِالثَّعَالِبِ أَوِ ٱلصَّيَّادِينَ، فَسَدَّ فَتْحَةَ مَخْزَنِ ٱلْحُبُوبِ ٱلَّذِي ٱخْتَفَى فِيهِ ٱلْأَرْنَبُ بِحَجَرٍ قَوِيٍّ: وَقَالَ غَاضِبًا: «إِذَا كَانَ ٱلثَّعْلَبُ هُنَا فَسَيَبْقَى هُنَا إِلَى ٱلْأَبَدِ»، وَعَادَ سَرِيعًا إِلَى ٱلْكِلَابِ ٱلْمُتَشَاجِرَةِ، وَأَخَذَ يَصِيحُ فِي ٱلْخُيُولِ ٱلَّتِي كَانَتْ تَعْتَرِضُ طَرِيقَهُ...

وَبَعْدَ نِصْفِ سَاعَةٍ هَدَأَتْ كِلَابُ ٱلصَّيْدِ ٱلثَّائِرَةُ، وَعَادَتِ ٱلْأَبْقَارُ ٱلْهَارِبَةُ إِلَى حَظَائِرِهَا، وَأُنْقِذَ كَلْبٌ كَانَ قَدْ سَقَطَ فِي ٱلْبِئْرِ كَمَا أُنْقِذَتْ قِطَّةٌ كَانَتْ قَدْ هَرَبَتْ إِلَى أَعْلَى ٱلشَّجَرَةِ، وَدَفَعَ ٱلصَّيَّادُونَ تَعْوِيضًا مَالِيًّا عَنِ ٱلْإِتْلَافِ ٱلَّذِي أَحْدَثُوهُ فِي ٱلْمَزْرَعَةِ، وَعَادُوا مِنْ حَيْثُ أَتَوْا.

أَمَّا لُولُو فَكَانَ نَائِمًا طُولَ ٱلْوَقْتِ، وَلَمْ يَشْعُرْ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ يَدُورُ خَارِجَ ٱلْجُحْرِ، لِأَنَّهُ كَانَ يَشْعُرُ بِكَثِيرٍ مِنَ ٱلتَّعَبِ وَٱلْإِعْيَاءِ.

خُضُوع وَوَدَاعَة

لَمْ يَعْرِفْ لُولُوْ عَلَى وَجْهِ ٱلتَّحْقِيقِ كَمْ قَضَى مِنَ ٱلزَّمَنِ دَاخِلَ هَذَا ٱلْجُحْرِ ، فَقَدْ كَانَ مُظْلِماً لِدَرَجَةِ أَنَّ لُولُوْ لَمْ يُمَيِّزِ ٱللَّيْلَ مِنَ ٱلنَّهَارِ . وَلَمْ يَكُنْ يَهُمُّهُ هَذَا أَبَداً نَظَراً لِمَا كَانَ يَشْعُرُ بِهِ مِنْ تَعَبٍ وَشَقَاءٍ . . . كَانَتْ أَقْدَامُهُ مُتْعَبَةً مُتَوَرِّمَةً مَجْرُوحَةً ، وَرَأْسُهُ وَعَضَلَاتُهُ وَمَفَاصِلُهُ كُلُّهَا تُؤْلِمُهُ أَلَماً شَدِيداً . أَمَّا ذَيْلُهُ فَكَانَ كُتْلَةً مِنَ ٱلْوَجَعِ . . .

وَلَمَّا صَحَا مِنْ نَوْمِهِ كَانَ ٱلْأَلَمُ ٱلَّذِى فِى رَأْسِهِ قَدِ ٱنْتَقَلَ إِلَى مَعِدَتِهِ ، فَقَدْ شَعَرَ بِأَنَّهُ يَكَادُ يَمُوتُ مِنَ ٱلْجُوعِ وَٱلْعَطَشِ . كَانَ يَصِيحُ مِنَ ٱلْأَلَمِ كُلَّمَا تَحَرَّكَ ، وَأَخَذَ يَتَحَسَّسُ طَرِيقَهُ دَاخِلَ ٱلْجُرْنِ ، فَوَجَدَ حُفْنَةً مِنَ ٱلْحُبُوبِ فَأَخَذَ يَلْتَهِمُهَا ٱلْتِهَاماً ، فَأَشْبَعَتْهُ قَلِيلاً ، وَلَكِنَّهُ شَعَرَ بِالْعَطَشِ ٱلشَّدِيدِ . وَمِنْ سُوءِ حَظِّهِ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَاءٌ فِى ذَلِكَ ٱلْمَكَانِ ٱلْجَافِّ ٱلْمُتْرِبِ . ثُمَّ نَامَ لُؤْلُؤٌ ثَانِياً عَلَى ٱلرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ كَانَ يَشْعُرُ بِالْعَطَشِ ٱلشَّدِيدِ . وَلَمْ يُحَاوِلْ فِى هَذِهِ ٱلْمَرَّةِ أَنْ يَأْكُلَ شَيْئاً مِنَ ٱلْحُبُوبِ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَأْكُلَ شَيْئاً دُونَ أَنْ يَشْرَبَ .

وَبَعْدَ ظُهْرِ ٱلْيَوْمِ ٱلثَّانِى لِحَادِثِ ٱلْمُطَارَدَةِ ، كَانَ ٱلْفَلَّاحُ يَسِيرُ فِى فِنَاءِ ٱلْمَزْرَعَةِ ، فَوَجَدَ ٱلْحَجَرَ ٱلَّذِى كَانَ قَدْ أَلْقَاهُ فِى فَتْحَةِ ٱلْجُحْرِ لَا يَزَالُ فِى مَكَانِهِ ، وَكَانَ قَدْ نَسِىَ هَذَا ٱلْحَجَرَ تَمَاماً . أَمَّا ٱلْآنَ فَقَدْ جَذَبَهُ بِسُرْعَةٍ وَهُوَ يَقُولُ : « لَا أُحِبُّ أَنْ يَمُوتَ شَىْءٌ فِى هَذَا ٱلْمَكَانِ ، لِأَنَّهُ سَيَكُونُ شَدِيدَ ٱلْقَذَارَةِ » .

ثُمَّ وَضَعَ أَنْفَهُ قَرِيباً مِنْ فَتْحَةِ ٱلْجُحْرِ وَأَخَذَ يَشَمُّ جَيِّداً ثُمَّ قَالَ : « لَا أَظُنُّ أَنَّ شَيْئاً دَخَلَ هُنَا . . إِنَّهُمْ صَيَّادُونَ أَغْبِيَاءُ » .

وَبِرَغْمِ أَنَّ ٱلْمَسَاءَ كَانَ مَلِيئاً بِالسَّحَابِ ، وَأَنَّ ٱلْمَطَرَ كَانَ يَسْقُطُ رَذَاذاً ، فَإِنَّ ٱلضَّوْءَ ٱلْفُجَائِىَّ ٱلَّذِى دَخَلَ ٱلْجُحْرَ بَعْدَ ٱلظَّلَامِ ٱلطَّوِيلِ ، كَانَ قَوِيّاً لِدَرَجَةِ أَنَّ لُؤْلُؤاً لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَفْتَحَ عَيْنَيْهِ دَفْعَةً وَاحِدَةً ، وَعَاوَدَهُ ٱلصُّدَاعُ بِسَبَبِ ٱلضَّوْءِ . وَحِينَمَا سَمِعَ صَوْتَ ٱلْمَطَرِ كَادَ يُجَنُّ لِأَنَّهُ كَانَ شَدِيدَ ٱلْعَطَشِ . . .

وَكَانَ يَتَصَوَّرُ نُقَطَ ٱلْمَاءِ ، وَهِيَ تَسْتَقِرُّ عَلَى أَوْرَاقِ نَبَاتِ ٱلْبَرْسِيمِ ٱلْأَخْضَرِ خَارِجَ ٱلْجُحْرِ وَكَأَنَّهَا حَبَّاتٌ مِنَ ٱلْفِضَّةِ ، وَحِينَئِذٍ شَعَرَ بِرَغْبَةٍ قَوِيَّةٍ فِي ٱلْخُرُوجِ ، وَلَوْ ضَحَّى فِي سَبِيلِ ذَلِكَ بِكُلِّ شَيْءٍ . وَلَكِنَّ تَجَارِبَ ٱلْيَوْمِ ٱلسَّابِقِ ٱلْمَرِيرَةَ قَدْ عَلَّمَتْهُ أَنْ يَكُونَ حَذِراً حَرِيصاً ، فَفَضَّلَ ٱلْبَقَاءَ وَٱلِانْتِظَارَ حَتَّى يَأْتِيَ ٱلْمَسَاءُ .

وَفِي ٱللَّيْلِ خَرَجَ لُؤْلُؤٌ مِنَ ٱلْجُحْرِ عَلَى ٱلرَّغْمِ مِمَّا كَانَ يُقَاسِيهِ مِنْ آلَامٍ شَدِيدَةٍ ، وَلَكِنَّ ٱلرَّذَاذَ ٱلْبَارِدَ كَانَ يُنْعِشُهُ ، وَمِنْ ثَمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى ٱلسَّمَاءِ ، وَتَرَكَ ٱلْمَطَرَ يَسْقُطُ عَلَى وَجْهِهِ وَيَنْحَدِرُ إِلَى فَمِهِ . وَكَانَتْ كُلُّ نُقْطَةِ مَاءٍ تَصِلُ إِلَيْهِ تُقَرِّبُهُ مِنَ ٱلْحَيَاةِ .

ثُمَّ بَدَأَ يَسِيرُ بِهُدُوءٍ فِي فِنَاءِ ٱلْمَزْرَعَةِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى ٱلْبَوَّابَةِ ، وَهُوَ يَشْعُرُ بِٱلْأَلَمِ فِي كُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا . أَمَّا ذَيْلُهُ ٱلَّذِي كَانَ فِي وَقْتٍ مِنَ ٱلْأَوْقَاتِ شَيْئاً عَظِيماً ، فَقَدْ أَخَذَ يَجُرُّهُ ٱلْآنَ خَلْفَهُ ، وَهُوَ مُلَطَّخٌ فِي ٱلطِّينِ وَٱلْأَوْسَاخِ .

وَسَارَ لُؤْلُؤٌ عَبْرَ ٱلْجُرْنِ ، ثُمَّ وَجَدَ غَيْطَ بَرْسِيمٍ ، فَأَخَذَ يَلْعَقُ نُقَطَ مَاءِ ٱلْمَطَرِ ٱلْبَارِدَةَ حَتَّى ٱرْتَوَى ، ثُمَّ أَكَلَ كَمِّيَّةً كَبِيرَةً مِنَ ٱلْبَرْسِيمِ ٱلطَّازَجِ ٱلْحُلْوِ ، فَشَعَرَ بِٱلتَّحَسُّنِ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَشْكُو مِنَ ٱلتَّعَبِ ، فَقَدْ كَانَ جِسْمُهُ كُلُّهُ يُؤْلِمُهُ ، وَكَانَ ذَيْلُهُ ثَقِيلاً كَأَنَّهُ كِيسٌ مِنَ ٱلرَّمْلِ رُبِطَ فِي جِسْمِهِ . . .

وَكَانَ مِنَ ٱلْوَاضِحِ أَنَّ لُؤْلُؤاً ٱلْمِسْكِينَ قَدْ ضَلَّ ٱلطَّرِيقَ فَلَمْ يَعُدْ يَعْرِفُ أَيْنَ يَسِيرُ . وَلَمْ يَكُنْ لِهَذَا ٱلطَّرِيقِ عَلَامَاتٌ تُمَيِّزُهُ ، وَلِذَلِكَ لَمْ يُدْرِكْ أَيَّ طَرِيقٍ

يُؤَدِّي بِهِ إِلَى بَيْتِهِ . لَوْ كانَ ٱلقَمَرُ ساطِعاً لاهْتَدَى إِلَى بَيْتِهِ . . وَلٰكِنَّ ٱللَّيْلَةَ كانَتْ مُظْلِمَةً . أَمَّا ٱلرَّذاذُ فَقَدْ بَدَأَ يَتَحَوَّلُ إِلَى مَطَرٍ غَزِيرٍ . وَلَمْ يَكُنْ أَمَامَ لُؤْلُؤٍ سِوَى ٱلِانْتِظارِ حَتَّى ٱلصَّباحِ .

وَحاوَلَ لُؤْلُؤٌ أَنْ يَلُفَّ ذَيْلَهُ حَوْلَ أَطْرافِهِ ، وَيَدْفِنَ فِيهِ وَجْهَهُ وَأَنْفَهُ ، وَلٰكِنَّ ٱلذَّيْلَ لَمْ يَكُنْ ناعِماً دافِئاً كَما كانَ أَوَّلاً ، وَإِنَّما كانَ بارِداً مُبَلَّلاً مُوحِلاً لا يُناسِبُ أَنْ يَدْفِنَ فِيهِ أَنْفَهُ وَرَأْسَهُ .

كانَتْ حالُ لُؤْلُؤٍ سَيِّئَةً جِدّاً ، وَقَدْ أَخَذَ يُصَلِّي وَيَبْتَهِلُ إِلَى ٱللّٰهِ قائِلاً : « أَبْتَهِلُ إِلَيْكَ يا إِلٰهِي أَنْ تُعِيدَ إِلَيَّ ذَيْلِيَ ٱلقَدِيمَ ثانِياً ، وَلَنْ أَرْضَى بِهِ بَدِيلاً » . . .

ثُمَّ رَاحَ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ . وَحِينَمَا اسْتَيْقَظَ صَبَاحَ الْيَوْمِ التَّالِي كَانَ الْمَطَرُ قَدِ انْقَطَعَ . وَأَزَالَتْ عَنْهُ شَمْسُ الصَّبَاحِ الْجَمِيلَةُ بَعْضَ آلَامِهِ ، فَأَكَلَ بَعْضَ الْبَرْسِيمِ ، وَأَخَذَ يَلْعَقُ مِنَ النَّدَى ، ثُمَّ بَدَأَ يَقْفِزُ بِبُطْءٍ عَلَى سُورِ الْحَقْلِ .

كَانَ يَعْرِفُ أَنَّهُ إِذَا سَارَ وَقُرْصُ الشَّمْسِ عَنْ يَسَارِهِ فَإِنَّهُ يَكُونُ مُتَّجِهاً فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْمَنْزِلِ . . وَلَكِنَّهُ وَصَلَ إِلَى غَابَةٍ صَغِيرَةٍ فَتَحَيَّرَ : أَيَعْبُرُهَا أَمْ يَدُورُ

حَوْلَهَا ؟ وَمَا كَانَ يُعِيرُ هَذِهِ ٱلْمَسَائِلَ ٱهْتِمَاماً مِنْ قَبْلُ ، أَمَّا ٱلآنَ وَهُوَ يَجُرُّ ذَيْلَهُ ٱلْمُؤْلِمَ ٱلثَّقِيلَ خَلْفَهُ فَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُفَكِّرَ فِيهَا جَيِّداً .

وَقَدِ ٱخْتَارَ أَنْ يَسِيرَ خِلَالَ ٱلْغَابَةِ . وَكَانَ حَظُّهُ حَسَناً فِي هَذِهِ ٱلْمَرَّةِ ، لِأَنَّهُ مَا إِنْ دَخَلَ ٱلْغَابَةَ حَتَّى رَأَى شَبَحَ حَيَوَانٍ كَبِيرٍ يَعْرِفُهُ جَيِّداً مُنْذُ صِغَرِهِ . . . هَذَا ٱلْحَيَوَانُ هُوَ ٱلْغَزَالُ ٱلْأَحْمَرُ ٱلَّذِي كَانَ يَعِيشُ عِنْدَ ٱلنَّهْرِ ٱلْقَرِيبِ مِنَ ٱلتَّلِّ . وَفِي هَذِهِ ٱللَّحْظَةِ بِالذَّاتِ عَلِقَ ٱلذَّيْلُ ٱلطَّوِيلُ ٱلْمُتَدَلِّي بِفَرْعٍ مِنْ فُرُوعِ ٱلْأَشْجَارِ ، وَأَصْبَحَ لُولُوٌ فِي حَالٍ سَيِّئَةٍ لَا يَقْدِرُ عَلَى ٱلْخَلَاصِ أَوِ ٱلْمُقَاوَمَةِ ، فَنَادَى صَدِيقَهُ ٱلْغَزَالَ بِصَوْتٍ خَافِتٍ ضَعِيفٍ : «عَزِيزِي ٱلْغَزَالَ . . . ٱلنَّجْدَةَ ! ٱلنَّجْدَةَ ! أَنَا ٱلْأَرْنَبُ لُولُوٌ » . فَٱسْتَدَارَ ٱلْغَزَالُ سَرِيعاً ، وَٱقْتَرَبَ بِبُطْءٍ وَحَذَرٍ وَقَالَ : « مَا هَذَا ؟ إِنَّكَ حَقّاً تُشْبِهُ ٱلْأَرْنَبَ لُولُوٌ . وَلَكِنْ مَا ذَلِكَ ٱلشَّيْءُ ٱلْقَبِيحُ ٱلَّذِي يَتَدَلَّى مِنْ خَلْفِكَ ؟ إِنَّهُ يَبْدُو كَمَا لَوْ كَانَ ذَيْلَ ثَعْلَبٍ » .

فَقَالَ لُولُوٌ بِصُعُوبَةٍ : « لَقَدْ كَانَ وَلَا يَزَالُ ذَيْلَ ثَعْلَبٍ يَا صَدِيقِي ٱلْغَزَالَ . . أَرْجُوكَ أَنْ تُسْرِعَ وَتَأْخُذَنِي إِلَى ٱلْمَنْزِلِ » .

ثُمَّ أَصَابَهُ إِغْمَاءٌ ، فَلَمْ يَشْعُرْ بِمَا يَدُورُ حَوْلَهُ ، وَحِينَمَا أَفَاقَ كَانَ ٱلْغَزَالُ رَاقِداً بِجَانِبِهِ ، وَرِجْلَاهُ ٱلْأَمَامِيَّتَانِ مَوْضُوعَتَانِ بِشَكْلٍ جَمِيلٍ تَحْتَ صَدْرِهِ . أَمَّا فَكَّاهُ فَكَانَا فِي حَرَكَةٍ دَائِمَةٍ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَجْتَرُّ ٱلطَّعَامَ ٱلَّذِي أَكَلَهُ مِنْ قَبْلُ . . .

وَسَأَلَهُ ٱلْغَزَالُ : « هَلْ تَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلتَّحَسُّنِ ٱلآنَ ؟ » .

فَأَجَابَ لُؤْلُؤٌ وَهُوَ يَتَوَجَّعُ : « أَنَا . . . أَنَا أَشْعُرُ بِتَعَبٍ شَدِيدٍ . . وَأَتَمَنَّى لَوْ كُنْتُ فِى بَيْتِى » .

فَرَدَّ عَلَيْهِ ٱلْغَزَالُ بِلَهْفَةٍ : « يَجِبُ أَنْ نَفْعَلَ شَيْئًا الآنَ . . وَعَلَيْكَ أَوَّلاً أَنْ

تكونَ قوىَّ العزيمةِ ، وتُحاولَ جذبَ ذيلِكَ منَ الأشواكِ . وبعدئذٍ يُمكنُكَ أنْ تصعدَ على ظهرى ، وتجلسَ على كتفى ، وتتركَ أرجُلَكَ تتدلَّى حولَ رقبتى . والآنَ هيَّا .. أبذُلُ جُهدَكَ وأخرُجْ منَ الأشواكِ ... »

وبذلَ لولُو آخرَ جُهدِهِ ، وأخذَ يشدُّ ويُحاولُ ويزحفُ وهوَ يتوجَّعُ منَ الألمِ .. وأخيراً صرخَ صرخةً كبيرةً مُؤثِّرةً ، خرجَ بعدَها الذَّيلُ منَ الأشواكِ ، ولكنَّهُ تركَ وراءهُ جُزءاً كبيراً منَ الشَّعرِ عالقاً بفرعِ الشَّجرةِ .

ونجحَ لولُو فى الصُّعودِ إلى ظهرِ الغزالِ ، بعدَ مشقَّةٍ ، ثُمَّ استقرَّ فوقَ رقبتِهِ . وشجَّعهُ الغزالُ فقالَ لهُ : « عظيمٌ جداً . لقدْ بذلْتَ جُهداً كبيراً ، وعليْكَ الآنَ أنْ تُمسكَ رقبتى جيِّداً » ..

ونهضَ الغزالُ واقفاً . ثُمَّ بدأَ يسيرُ ببُطءٍ . وبعدَ أنْ تركَا الغابةَ جفَّفتِ الشَّمسُ البللَ الذى كانَ يغمُرُ لولُو ، وأزالتْ بعضَ التَّعبِ الذى كانَ يشعُرُ بهِ فى عضلاتِهِ ، وبدأَ يُحسُّ بأنَّهُ أحسنُ حالاً .. ورغبَ فى التَّحدُّثِ إلى الغزالِ ، فقصَّ عليْهِ قصصَ الذُّيولِ المُختلفةِ ، ثُمَّ قصَّةَ المُطاردةِ .

واستمعَ الغزالُ إلى قصَّةِ الأرنبِ ، ثُمَّ قالَ لهُ : « هذهِ قصَّةٌ عجيبةٌ تدلُّ على الغباءِ وسُوءِ الفهمِ . أنا لا أفهمُ لماذا لا يُعجبُكَ ذيلُكَ ؟ انظُرْ إلى ذيلى أنا ... إنَّهُ ليسَ أطولَ منْ ذيلِكَ نسبياً ، ولكنَّكَ لمْ تسمعْ أبداً أنَّ غزالاً قدْ رغبَ فى ذيلٍ جديدٍ ... منَ المُضحكِ حقاً أنْ ترى غزالاً يجرى فى الغابةِ وهوَ يحملُ

ذَيْلَ حِصَانٍ أَوْ ذَيْلَ بَقَرَةٍ ، وَلَكِنَّ بَعْضَ الْمَخْلُوقَاتِ ـ وَلَا سِيَّمَا الْأَرَانِبُ ـ لَا تُرِيدُ أَنْ تُفَكِّرَ أَبَداً » .

خَجِلَ الْأَرْنَبُ مِنْ نَفْسِهِ وَقَالَ : « هَذَا حَقٌّ ! وَلَوْ قُدِّرَ لِي أَنْ أَعُودَ إِلَى بَيْتِي وَأَسْتَرِدَّ ذَيْلِيَ الْقَدِيمَ ، فَلَنْ أُحَاوِلَ أَبَداً أَنْ أَسْتَبْدِلَ بِهِ ذَيْلاً آخَرَ » .

فَضَحِكَ الْغَزَالُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ . . ثُمَّ قَالَ : لَوْ صَدَّقْتُ أَنَّ الْبَقَرَ يُغَنِّي مِثْلَ الْبَلَابِلِ لَصَدَّقْتُكَ !

وَأَخَذَ الْغَزَالُ يُسْرِعُ فِي الْعَدْوِ . وَبَعْدَ قَلِيلٍ بَدَأَ لُؤْلُؤٌ يُمَيِّزُ الطَّرِيقَ ، وَاسْتَطَاعَ أَنْ يَرَى مِيَاهَ النَّهْرِ الْفِضِّيَّةَ وَهِيَ تَعْكِسُ أَشِعَّةَ الشَّمْسِ السَّاطِعَةِ . وَعِنْدَمَا وَصَلَا إِلَى مَجْرَى النَّهْرِ قَالَ الْغَزَالُ : « سَأَعْبُرُ بِكَ النَّهْرَ . . . وَلَكِنِّي لَنْ أُوَاصِلَ الطَّرِيقَ مَعَكَ فِي الضَّفَّةِ الْأُخْرَى ، فَهُنَاكَ عَدَدٌ مِنَ الْكِلَابِ الْمُشَاكِسَةِ . أَمَّا أَنْتَ فَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَسِيرَ الْآنَ فِي طَرِيقِكَ بِسُهُولَةٍ » .

فَقَالَ لَهُ لُؤْلُؤٌ : « أَشْكُرُكَ جِدًّا . . أُؤَكِّدُ لَكَ أَنِّي أَسْتَطِيعُ السَّيْرَ الْآنَ » .

عَبَرَ الْغَزَالُ الْبِرْكَةَ الضَّحْلَةَ ، ثُمَّ لَوَى رَقَبَتَهُ حِينَمَا وَصَلَ إِلَى الشَّاطِئِ الْقَرِيبِ ، فَهَبَطَ لُؤْلُؤٌ إِلَى الشَّاطِئِ ، وَحَاوَلَ أَنْ يُكَرِّرَ شُكْرَهُ ، وَلَكِنَّ الْغَزَالَ اكْتَفَى بِأَنْ ضَحِكَ وَعَادَ يَخُوضُ فِي الْمَاءِ الضَّحْلِ إِلَى الضَّفَّةِ الْأُخْرَى . وَحِينَمَا اقْتَرَبَ مِنْهَا رَفَعَ ذَيْلَهُ الْقَصِيرَ فِي الْهَوَاءِ ، كَأَنَّهُ يَقُولُ : « إِلَى اللِّقَاءِ ! » ثُمَّ اخْتَفَى بَيْنَ الْأَدْغَالِ . . .

وَوَقَفَ لُؤْلُؤٌ يَنْظُرُ إِلَى الْغَزَالِ بِإِعْجَابٍ ثُمَّ قَالَ : « يَا إِلَهِي ! إِنَّ ذَيْلَهُ لَيْسَ

أَطْوَلَ بِكَثِيرٍ مِنْ ذَيْلِي، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ جَمِيلٌ، لاَ يُسَبِّبُ لَهُ المَتَاعِبَ » . ثُمَّ بَدَأَ يَصْعَدُ التَّلَّ خِلاَلَ الشُّجَيْرَاتِ وَالْأَشْوَاكِ ، وَذَيْلُهُ التَّافِهُ الْقَبِيحُ يَتَدَلَّى مِنْ خَلْفِهِ عَلَى الطَّرِيقِ .

اِتَّجَهَ الرَّجُلُ العَجُوزُ ، وَهُوَ يَضْحَكُ ، إِلَى البَابِ لِيَفْتَحَهُ لِضَيْفِهِ الْأَرْنَبِ الَّذِي كَانَ يَطْرُقُ الْبَابَ طَرْقًا خَفِيفًا ، وَلَكِنَّهُ حِينَمَا رَأَى هَذِهِ الْحَالَ الْمُحْزِنَةَ ، بَدَأَ يُحِسُّ بِالْعَطْفِ وَالشَّفَقَةِ عَلَى ذَلِكَ الْمَخْلُوقِ الْبَائِسِ ، وَوَضَعَ الْإِنَاءَ الْحَجَرِيَّ عَلَى الْمَوْقِدِ فِي الْحَالِ لِيَسْخَنَ ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى لُؤْلُؤٍ وَقَالَ : « يَبْدُو أَنَّ هَذَا الذَّيْلَ لَمْ يَكُنْ مُنَاسِبًا بِالْمَرَّةِ . إِنَّكَ فِي حَالَةٍ سَيِّئَةٍ جِدًّا ، وَسَأُرِيحُكَ فَوْرًا مِنْ هَذَا الْحِمْلِ

ٱلثَّقِيلِ ٱلْقَذِرِ ٱلَّذِى تَجُرُّهُ . . وَبَعْدَئِذٍ تَشْرَبُ ٱلْحِسَاءَ ثُمَّ تَنَامُ هَانِئًا . . هَيَّا . . وَٱصْعَدْ فَوْقَ ٱلْمِنْضَدَةِ » .

وَلَـكِنَّ لُؤْلُؤًا لَمْ يَكُنْ قَادِراً عَلَى ٱلصُّعُودِ إِلَى ٱلْمِنْضَدَةِ ؛ فَرَفَعَهُ ٱلرَّجُلُ ٱلْعَجُوزُ ، فَتَمَدَّدَ لُؤْلُؤٌ عَلَى ٱلْمِنْضَدَةِ ، وَوَضَعَ رِجْلَيْهِ ٱلْأَمَامِيَّتَيْنِ عَلَى عَيْنَيْهِ . . .

كَانَتْ رِجْلَاهُ سَاخِنَتَيْنِ ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ يَشْعُرُ بِرَعْشَةٍ مِنْ حِينٍ إِلَى حِينٍ ، فَصَاحَ ٱلرَّجُلُ ٱلْعَجُوزُ وَهُوَ يُحْضِرُ ٱلْإِنَاءَ ٱلْحَجَرِىَّ : « إِنَّكَ مُصَابٌ بِٱلْحُمَّى أَيْضاً ، وَلَـكِنْ — لَا تَخَفْ ! فَسَنُعَالِجُ ذَلِكَ أَيْضاً » .

وَبَدَأَ لُؤْلُؤٌ يَشُمُّ الرَّائِحَةَ الَّتِي اعْتَادَ أَنْ يَشُمَّهَا . وَبَعْدَ لَحْظَةٍ قَصِيرَةٍ شَعَرَ بِيَدِ الرَّجُلِ الْعَجُوزِ وَهِيَ تُرَبِّتُ عَلَى ظَهْرِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : « وَالْآنَ . . . قَدْ عَادَ إِلَيْكَ ذَيْلُكَ الْقَدِيمُ ، وَإِنَّنِي أُرَاهِنُ أَنَّكَ سَتُرَحِّبُ بِهِ ، وَسَتَقْبَلُهُ بِكُلِّ سُرُورٍ » .

وَبِرَغْمِ مَا كَانَ يَشْعُرُ بِهِ لُؤْلُؤٌ مِنْ أَلَمٍ ، مَدَّ رَقَبَتَهُ وَلَوَى رَأْسَهُ حَتَّى اسْتَطَاعَ أَنْ يُلْقِيَ نَظْرَةً عَلَى ذَيْلِهِ الْقَدِيمِ الْقَصِيرِ الَّذِي يُشْبِهُ خُصْلَةً مِنَ الْقُطْنِ ، وَلَكِنَّهُ فِي هٰذِهِ الْمَرَّةِ كَانَ يَبْدُو شَيْئًا كَبِيرًا عَظِيمًا . وَتَنَفَّسَ الْأَرْنَبُ الصُّعَدَاءَ ، ثُمَّ نَامَ عَلَى جَنْبِهِ فَوْقَ الْمِنْضَدَةِ .

وَشَعَرَ لُؤْلُؤٌ وَهُوَ نَائِمٌ بِالرَّجُلِ الْعَجُوزِ يَرْفَعُهُ وَيَضَعُهُ عَلَى السَّرِيرِ ، ثُمَّ شَعَرَ بِرَأْسِهِ تَسْتَنِدُ إِلَى الْوِسَادَةِ اللَّيِّنَةِ ، وَبِالْغِطَاءِ السَّمِيكِ الدَّافِئِ يَلُفُّ جِسْمَهُ فَنَامَ ، وَلَمْ يُدْرِكْ مَا حَدَثَ بَعْدَ ذٰلِكَ . . .

ثُمَّ اسْتَيْقَظَ فِي عَصْرِ الْيَوْمِ التَّالِي ، وَبَدَأَ يَتَمَطَّى وَيَمُدُّ كُلَّ جُزْءٍ مِنْ جِسْمِهِ ثُمَّ يَثْنِيهِ . وَشَعَرَ بِالسَّعَادَةِ الْحَقَّةِ حِينَمَا وَجَدَ أَنَّ كُلَّ الْآلَامِ وَالْأَوْجَاعِ قَدْ زَالَتْ عَنْهُ تَمَامًا . وَهُنَا تَرَكَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ الْكِتَابَ الَّذِي فِي يَدِهِ ، وَنَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ : « حَسَنًا . كَيْفَ أَنْتَ الْآنَ ؟ لَعَلَّكَ قَدْ تَحَسَّنْتَ . . . مَا رَأْيُكَ فِي الْحَسَاءِ السَّاخِنِ ؟ هَلْ تُحِبُّهُ ؟ »

فَأَجَابَ لُؤْلُؤٌ وَهُوَ يَقْفِزُ مِنَ الْفِرَاشِ : « إِنَّهُ عَظِيمٌ جِدًّا » .

وَكَانَ لُؤْلُؤٌ يَشْعُرُ قَلِيلًا بِالضَّعْفِ وَعَدَمِ الِاتِّزَانِ ، وَلَكِنَّهُ مَعَ ذٰلِكَ كَانَ

أَحْسَنَ بِكَثِيرٍ مِمَّا كَانَ مِنْ قَبْلُ ! ! وَكَانَ أَعْظَمَ شَيْءٍ فِى نَظَرِهِ أَنَّهُ تَخَلَّصَ مِنْ ذَلِكَ ٱلذَّيْلِ ٱلثَّقِيلِ ٱلْمُؤْلِمِ ٱلَّذِى كَانَ يَتَدَلَّى مِنْ خَلْفِهِ . وَبَدَأَ مِنْ جَدِيدٍ يَرَى ٱلْحَوَادِثَ ٱلَّتِى مَرَّتْ بِهِ وَكَأَنَّهَا حُلْمٌ يَعُودُ مِنْ جَدِيدٍ . وَلَكِنَّهُ لِحُسْنِ ٱلْحَظِّ لَمْ يَسْتَغْرِقْ فِى هَذَا ٱلْحُلْمِ ٱلْمُزْعِجِ وَقْتاً طَوِيلاً ، فَقَدْ أَفَاقَ بِسُرْعَةٍ ، وَأَخَذَ يَتَحَسَّسُ نَفْسَهُ ، فَعَادَ إِلَيْهِ ٱلِاطْمِئْنَانُ حِينَمَا تَأَكَّدَ أَنَّ ذَيْلَهُ ٱلْقَدِيمَ ٱلَّذِى يُشْبِهُ خُصْلَةَ ٱلْقُطْنِ قَدْ رَجَعَ إِلَيْهِ . وَحِينَئِذٍ قَالَ وَٱلسَّعَادَةُ بَادِيَةٌ عَلَيْهِ : « إِنَّنِى قَدْ تَأَكَّدْتُ أَنَّ ذَيْلِى هَذَا أَعْظَمُ ذَيْلٍ فِى ٱلْعَالَمِ . أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ » فَرَدَّ عَلَيْهِ ٱلرَّجُلُ ٱلْعَجُوزُ ضَاحِكاً : حَقّاً إِنَّ ذَيْلَكَ هَذَا أَعْظَمُ ذَيْلٍ يُنَاسِبُكَ . . وَلَا يَصْلُحُ لَكَ أَبَداً أَىُّ ذَيْلٍ غَيْرُهُ . . « وَٱلْآنَ ٱقْعُدْ وَتَنَاوَلِ ٱلْحَسَاءَ » .

أَخَذَ لُؤْلُؤٌ يَلْعَقُ ٱلْحَسَاءَ ، حَتَّى ٱلتَّهَمَهُ كُلَّهُ ، ثُمَّ ٱضْطَجَعَ وَهُوَ يَتَنَهَّدُ فِى بِشْرٍ وَٱرْتِيَاحٍ .

وَقَالَ لَهُ ٱلْعَجُوزُ : « وَٱلْآنَ يَجِبُ أَنْ تَذْهَبَ إِلَى وَالِدَيْكَ ، فَهُمَا فِى أَشَدِّ ٱلْقَلَقِ عَلَيْكَ . . هَلْ تَدْرِى أَنَّكَ غِبْتَ عَنْ بَيْتِكَ أَرْبَعَ لَيَالٍ مُتَوَالِيَةٍ ؟ »

فَأَجَابَ لُؤْلُؤٌ : « كَلَّا ! فَإِنَّ كُلَّ شَىْءٍ يُبْدُو لِى وَكَأَنَّهُ حُلْمٌ ثَقِيلٌ » . وَصَمَتَ بُرْهَةً يُفَكِّرُ ، ثُمَّ قَالَ : « وَلَكِنَّ هُنَاكَ شَيْئاً وَاحِداً ، أَرْجُو أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ أَذْهَبَ ، وَأَرْجُو أَنْ تَأْذَنَ لِى بِذَلِكَ » .

فَقَالَ ٱلرَّجُلُ ٱلْعَجُوزُ : « هَيَّا ، فَقَدْ أَذِنْتُ لَكَ » .

لَمْ يَتَكَلَّمْ لُؤْلُؤٌ . . وَلَكِنَّهُ قَامَ فِي الْحَالِ ، وَصَعَدَ عَلَى كُرْسِيٍّ بِجَانِبِ الْمَوْقِدِ . وَكَشَفَ الْغِطَاءَ عَنْ أَحَدِ الْأَفْرَانِ ، وَأَخَذَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا ؛ ثُمَّ أَمْسَكَ بِالْإِنَاءِ الْحَجَرِيِّ وَأَلْقَى بِهِ فِي الْفَحْمِ الْمُتَوَهِّجِ ، فَازْدَادَتِ النَّارُ لَهِيباً وَاشْتِعَالاً . . . وَبَدَأَ الدُّخَانُ يَتَصَاعَدُ فِي جَوِّ الْحُجْرَةِ ، ثُمَّ هَدَأَتِ النَّارُ وَخَمَدَتْ . أَمَّا الْحُجْرَةُ فَكَانَتْ عَبِقَةً بِالرَّائِحَةِ الْغَرِيبَةِ الَّتِي اعْتَادَ لُؤْلُؤٌ أَنْ يَشُمَّهَا حِينَمَا كَانَ يَطْلُبُ مِنَ الرَّجُلِ الْعَجُوزِ ذَيْلاً جَدِيداً .

وَهُنَا ضَحِكَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ ، وَقَالَ وَهُوَ يَفْتَحُ الْبَابَ : « حَسَناً . . . هَذِهِ هِيَ النِّهَايَةُ . . . أَرَاكَ أَخِيراً قَدْ بَدَأْتَ تُحْسِنُ التَّفْكِيرَ . . وَلَكِنْ تَذَكَّرْ أَنَّكَ إِذَا لَمْ تَقْنَعْ بِذَيْلِكَ هَذَا ، فَلَنْ أَسْتَطِيعَ أَنْ أَفْعَلَ لَكَ شَيْئاً بَعْدَ الْيَوْمِ » .

سَعِدَ لُؤْلُؤٌ بِكَلَامِ الرَّجُلِ الْعَجُوزِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : « إِنَّنِي سَعِيدٌ . . . سَعِيدٌ جِدًّا . وَلَنْ أَطْلُبَ شَيْئاً آخَرَ بَعْدَ الْآنَ ، فَهَذَا الذَّيْلُ يُنَاسِبُنِي تَمَاماً » .

كَانَ فَأْرُ الْجَبَلِ يَخْتَالُ فِي مِشْيَتِهِ صَاعِداً التَّلَّ ، فَأَسْرَعَ لُؤْلُؤٌ وَقَفَزَ فَوْقَهُ قَفْزَةً مَرِحَةً ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ الْفَأْرُ سَاخِراً وَقَالَ : « إِنَّ بَعْضَ الْمَخْلُوقَاتِ لَا تَعْرِفُ الْقَنَاعَةَ أَبَداً » .

فَضَحِكَ لُؤْلُؤٌ ثُمَّ أَخَذَ يَقْفِزُ وَيَعْدُو إِلَى بَيْتِهِ . . . وَكَانَتِ الشَّمْسُ قَدْ مَالَتْ لِلْغُرُوبِ !

« تَمَّتْ »

893.785
L44

BOUND
JAN 1 9 1956

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU58891676
893.785 L44
Dhayl al-amab,